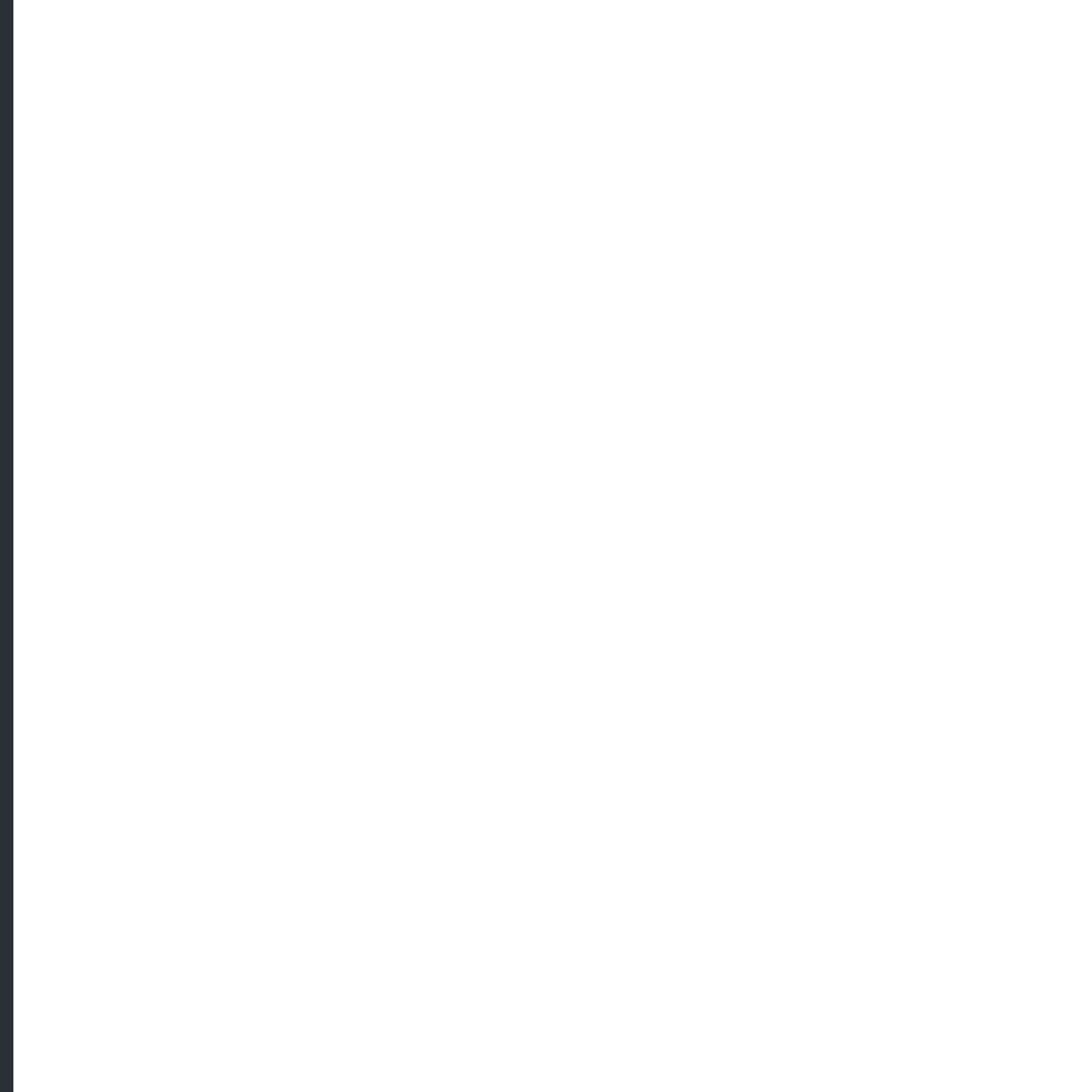

مختارات من معالم التراث المعماري المقدسي
جاليـــري القـدس المعماري
تأليف: د. يوسف سعيد النتشة
إرث فلسطين
THE LEGACY OF PALESTINE





مختارات من معالم التراث المعماري المقدسي

جاليري القدس المعماري

تنفيذ
مؤسسة الرؤيا الفلسطينية



Tel: 02 6285080 | info@palvision.ps | www.palvision.ps

palestinian.vision | PalestinianVision | pal_vision | palvision2014 | pal-vision


ISBN 978-9950-422-04-9



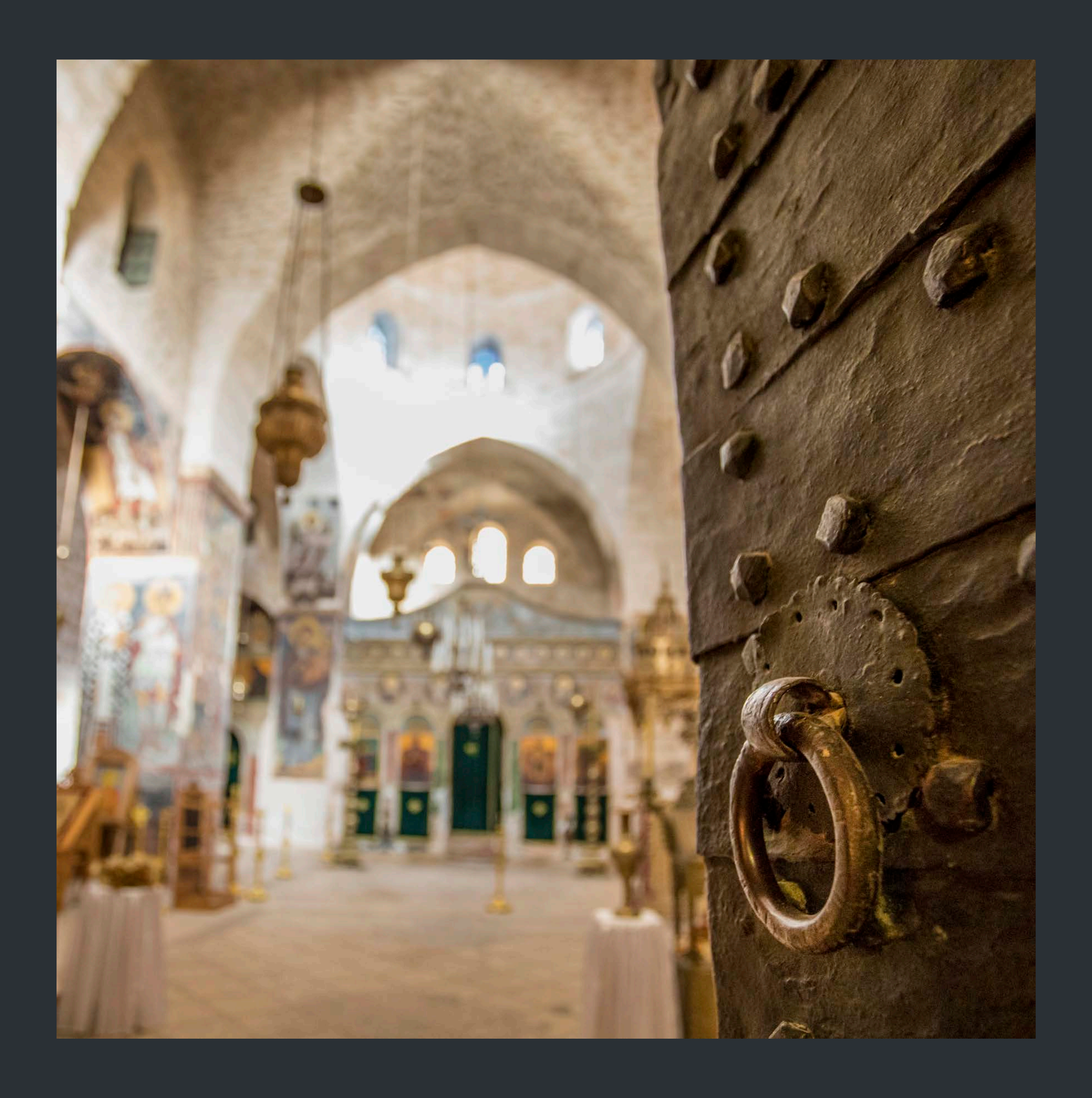


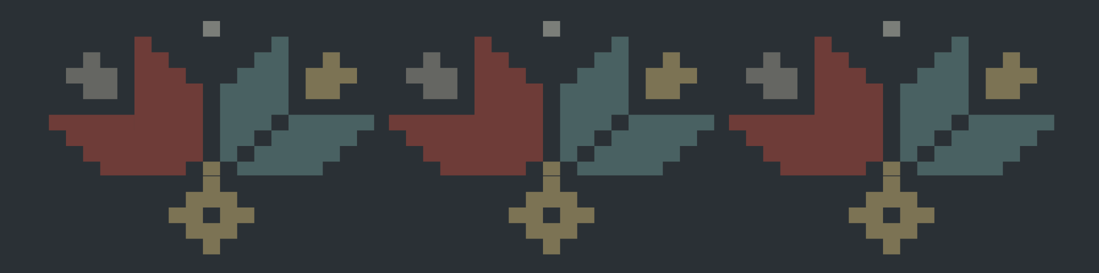


مؤسسة الرؤيا الفلسطينية

مؤسسة الرؤيا الفلسطينية PalVision، هي مؤسسة أهلية فلسطينية مستقلة، لا تسعى للربح أو التجارة أو المنفعة المالية، وغير مرتبطة بأية جهة حكومية أو حزبية، تهتم بقطاع الشباب والتعليم والتنمية الاقتصادية، وترتكز رؤيتها على أن يقوم الشباب الفلسطيني بعمل جماعي نحو التنمية المستدامة لمجتمعاتهم، لذلك فإنها تعمل على حشد وتمكين الشباب الفلسطيني لتحقيق تطلعاتهم والحفاظ على هويتهم الفلسطينية الجماعية والشروع في تنمية مستدامة يقودها الشباب من خلال العمل التطوعي والنشاط الاجتماعي وريادة الأعمال وكسب التأييد والدعوة، على المستويات المحلية والوطنية والدولية.

يأتي هذا الجاليري ضمن جهود مؤسسة الرؤيا الفلسطينية للحفاظ على الإرث الديني والحضاري والثقافي في مدينة القدس.





مقدّمة

نبعت فكرة هذا الكتاب من الرغبة في توفير معلومات مركّزة تعطي فكرة عامة ومشوّقة، لكنها ليست شاملة، عن إرث مدينة القدس وثرائها المعماري باللغتين العربية والإنجليزية، وتساهم في تنمية الوعي بأهمية هذا التراث وبمكانته، وتربط المواطن بتراثه الغني، وتوضح جوانب فنية راقية فيه، علاوةً على توفير مادة علمية دقيقة بأسلوب سهل، تعمل على حفظ هذا التراث وصونه في ذاكرة أهل المدينة وزوارها.

وحيث إن تراث المدينة المعماري عريق ومتنوع ومعقد، وأُلّفت فيه كتب ودراسات متخصصة عدة، تميزت باحتوائها على وثائق ومخططات ودراسات تحليلية، مما لا يحتاجه المثقف غير المعني بدقائق التخصص، فقد وُجِدَ من المناسب أن يتم وضع مؤلَّف (جاليري) أشبه ما يكون بمعرض يتناول مختارات لأبرز معالم القدس المعمارية، تعطي فكرة تمثيلية عن تراث القدس المعماري الخالد، وتتيح التعرف على مجموعة من أهم المعالم الممثلة للعمائر العربية الإسلامية والمسيحية كافة، من حيث الوظيفة المعمارية، والفترات الزمنية، والتوزيع الجغرافي والديني، وذلك أملاً في تشجيع زيارة أكبر عدد من المعالم الجميلة؛ سواء التي أُدرِجَت هنا، أو في الكتب والنشرات المتعددة. والهدف الأساسي من ذلك هو إظهار ثراء البلدة القديمة وتنوعها المعماري العربي والإسلامي والمسيحي، الذي يتم تهميشه وتعمّد إغفاله في أغلب المنشورات السياحية، وبخاصة تلك الصادرة عن المؤسسات الإسرائيلية.

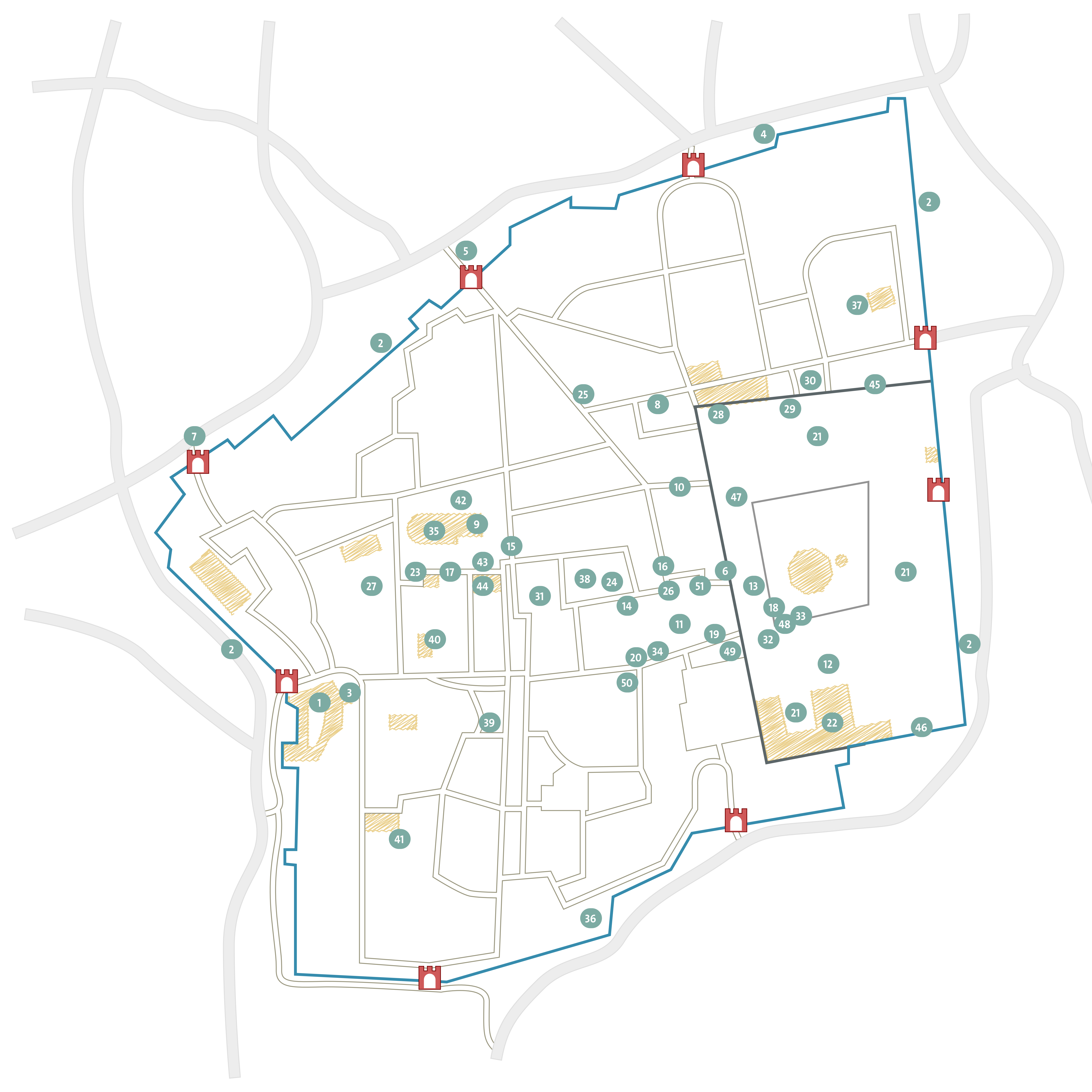
وُجِدَ من المفيد أن يُستهل المعرض (الجاليري) بنبذة عن مكانة مدينة القدس الفريدة، وإظهار عمق مباركتها وقداستها، لدى الديانات السماوية الثلاث. ورغبةً في وضع المعالم المعمارية المختارة المختصرة في إطارها الزمني، وسياقها التخطيطي، وتطورها المعماري، فقد تم التنويه بطبيعة طبوغرافية المدينة، وأهم طرقها الأساسية.

إن بلدة القدس القديمة هي في الواقع متحف معماري، وإن كل مبنى، وكل زاوية، وكل عنصر معماري، أو زخرفي، هو نتاج عملية تخطيطية وتنفيذية معقدة، وهو تراث عربي أصيل، وهو أيضاً تراث إنساني. ليس هذا فحسب، بل إن سكان المدينة على اختلاف انتماءاتهم وأهوائهم وأعمارهم وثقافتهم كافة، يجدون في هذا التراث هويتهم الحضارية، وجذورهم التاريخية، وأحد روافد مكونهم الثقافي، ومجمع ذكرياتهم، وأصول عائلاتهم.

ولا يقتصر الأمر على أهل القدس، بل تراث القدس يعنى كل أهل فلسطين بقدر ما هو يعنى أهل القدس، وإن شوق الفلسطيني لزيارة القدس وأماكنها المقدسة، يجعله يتسلق الجدران، ويعرّض نفسه للأخطار الجسيمة، والواقع يظهر حتى أن المراهقين والأطفال في الضفة الغربية والمهجر، إذا ما خُيِّروا بين رحلة خارجية إلى تركيا أو مصر من ناحية، وبين القدس، فإنهم، ودون تردد، يختارون زيارة القدس.

وعليه، فقد توفرت الرغبة لدى مؤسسة الرؤيا الفلسطينية لإنجاز جاليري عن تراث القدس المعماري، يعوّض بعض الحرمان الذي يكتنفه فيما يتعلق بزيارته من قبل فلسطينيي الضفة الغربية والشتات والوطن العربي، في حين أن زيارته متاحة بيسر وسهولة لمن يرغب من معظم دول العالم، لكنها ممنوعة على من يقيم على بعد كيلومترات عدة منه. لهذا ولغيره من الأسباب، كانت هذه المختارات والجاليري، التي قطعاً لا تغني عن ولا تقلل من مكانة وأهمية تراث المدينة العظيم الذي لم تُذكَر معالمه هنا.

وحَرُصَ أن يتم إعطاء معلومات أساسية عن هذه المعالم المختارة، وأن تشمل أفضل ما يضمه المَعْلَم من معانٍ وقيم وصِلات اجتماعية ودينية، وما فيه من قيم جمالية وفنية، مع توفير معلومات موجزة صحيحة، بأسلوب بسيط ومباشر، وذلك بغية أن تكون هذه النشرة محفزة ومشجعة، وأداة للتعرف على معالم القدس للمهتم والمعني، وبخاصة للذي تحدوه الرغبة في مزيد من المعرفة عن هوية هذا التراث ومكوناته وقيمه. وتيسيراً لزيارة هذه المعالم، فقد تم إرفاق خارطة مرقمة توضح مواقع هذه المباني التاريخية الهامة.



4
2
5
37
2
30
45
25
8
29
28
21
7
10
47
42
9
35
15
16
6
43
23
17
27
44
38
24
31
26
51
13
21
14
18
33
48
11
40
19
32
2
20
34
49
12
2
50
3
1
39
21
22
46
41
36

محتوى الجاليري

مؤسسة الرؤيا الفلسطينية 5
مقدّمة 7

محتوى الجاليري 9

المسطرة التاريخية المعمارية 10
لمحة عن مكانة مدينة القدس 14
نظرة على تخطيط المدينة المعماري 14
إطلالة على الوظائف المعمارية في عمارة القدس 14

القلاع والأسوار والأبراج 16
1. قلعة القدس 18
2. سور القدس 19

الأبراج 20
3. برج فصايل 20
4. برج المتحف الفلسطيني 21

الأبواب 22
5. باب العامود 22
6. باب سوق القطانين 24
7. الباب الجديد 25

الأديرة 27
8. دير راهبات صهيون 28
9. دير السلطان 29

الأربطة 31
10. رباط السلطان المنصور قلاوون (الرباط المنصوري) 32
11. رباط النساء 33

الأسبلة 35
12. سبيل الكاس 35
13. سبيل قايتباي 36
14. سبيل طريق الواد 37

الأسواق 39
15. سوق خان الزيت 40
16. سوق القطانين 41
17. سوق أفتيموس 42

البوائك 45
18. البائكة الغربية الجنوبية 45
19. تربة تركان خاتون 48
20. التربة الكيلانية 49

الجوامع والمساجد 51
21. المسجد الأقصى المبارك 52
22. الجامع الأقصى 54
23. مسجد عمر بن الخطاب 55

الحمامات التاريخية 59
24. حمام العين 60
25. حمام خاصكي سلطان للنساء 61

الخانات 63
26. خان تنكز الناصري 64
27. خان الأقباط 65

الخلاوي 67
28. خلوة قيطاس 68
29. خلوة أحمد باشا الشمالية الغربية 69

الزوايا والخوانق الصوفية 73
30. الخانقاة الدوادارية 74
31. الزاوية القرمية 75

القباب 76
32. قُبّةُ الصّالِحِ نَجْمِ الدّينِ أيّوب 78
33. قُبّةُ يوسُفَ آغا 79

القناطر 81
34. قنطرة أم البنات 81

الكنائس 82
35. كنيسة القيامة 84
36. كنيسة النيا 86
37. كنيسة القديسة حنة 87
38. كنيسة سانت جوليان 88
39. كنيسة مار مرقص للسريان الأرثوذكس 89
40. كنيسة يوحنا المعمدان 90
41. كنيسة القديس يعقوب الأرمنية 91
42. مجمع بطريركية الأقباط 92
43. كنيسة ألكسندر نافسكي الروسية 93
44. كنيسة المخلّص الألمانية 94

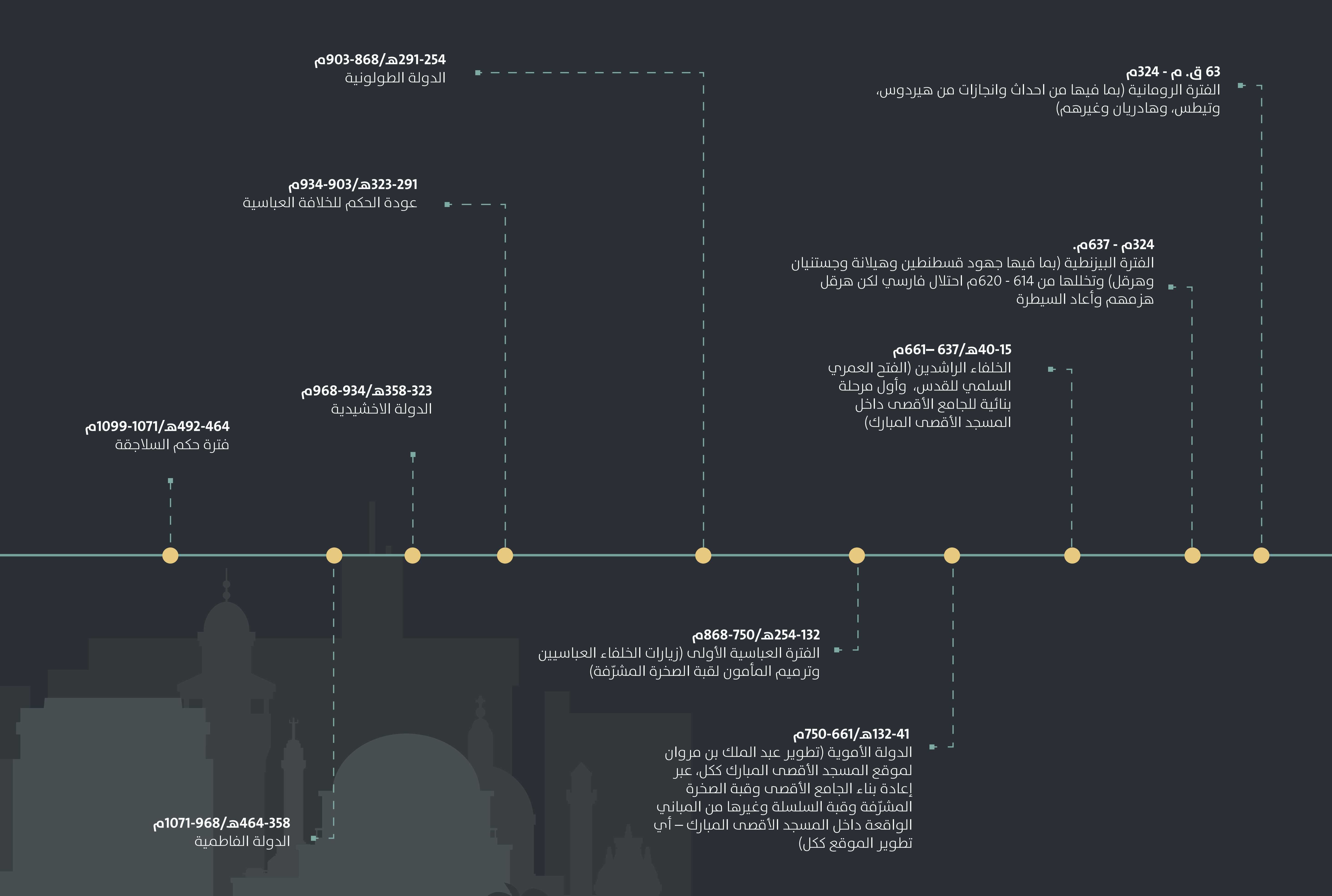
المآذن 99
45. مئذنة باب الأسباط 99

المحاريب والمساطب 101
46. محراب داوود 102
47. محراب الأمير بلوي الظاهري 103

المدارس 105
48. المدرسة النحوية 106
49. المدرسة التنكزية 107
50. المدرسة الطّشتُمرية 108
51. المدرسة المُزهرية 109

مختارات من المصادر والمراجع 110

المسطرة التاريخية المعمارية



63 ق. م - 324م
الفترة الرومانية (بما فيها من احداث وانجازات من هيردوس، وتيطس، وهادريان وغيرهم)

324م - 637م.
الفترة البيزنطية (بما فيها جهود قسطنطين وهيلانة وجستنيان وهرقل) وتخللها من 614 - 620م احتلال فارسي لكن هرقل هزمهم وأعاد السيطرة

15-40هـ/637 –661م
الخلفاء الراشدين (الفتح العمري السلمي للقدس، وأول مرحلة بنائية للجامع الأقصى داخل المسجد الأقصى المبارك)

41-132هـ/661-750م
الدولة الأموية (تطوير عبد الملك بن مروان لموقع المسجد الأقصى المبارك ككل، عبر إعادة بناء الجامع الأقصى وقبة الصخرة المشرّفة وقبة السلسلة وغيرها من المباني الواقعة داخل المسجد الأقصى المبارك – أي تطوير الموقع ككل)

132-254هـ/750-868م
الفترة العباسية الأولى (زيارات الخلفاء العباسيين وترميم المأمون لقبة الصخرة المشرّفة)

254-291هـ/868-903م
الدولة الطولونية

291-323هـ/903-934م
عودة الحكم للخلافة العباسية

323-358هـ/934-968م
الدولة الاخشيدية

358-464هـ/968-1071م
الدولة الفاطمية

464-492هـ/1071-1099م
فترة حكم السلاجقة



492-583هـ/1099-1187م
فترة حكم الفرنجة (الصليبيون)

583-648هـ/1187-1250م
الدولة الأيوبية (صلاح الدين وتحرير القدس من الصليبيين وإعادة احتلالها من قبلهم، وتحريرها منهم ثانيةً)

648-922هـ/1250-1517م
الدولة المملوكية (فترة استقرار ومشاريع عمرانية كبيرة)

922-1336هـ/1517-1917م
الدولة العثمانية (بناء سور القدس ومجمع خاصكي سلطان والاهتمام بالمسجد الأقصى المبارك)

1336-1368هـ/1917-1948م
فترة الانتداب البريطاني (نشاط المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى)

1368-1387هـ/1948-1967م
العهد الأردني

1387هـ - الآن / 1967م - الآن
الاحتلال الإسرائيلي

1414، 1415هـ - الآن / 1994م - الآن
السلطة الوطنية الفلسطينية


البلدة القديمة في القدس





لمحة عن مكانة مدينة القدس

القدس وما القدس، إنها مدينة تقدّست أربع مرات، إنها مدينة على الأرض لكن جذورها عالية في السماء، مدينة كُتب عنها وفيها ما لم يُكتب عن أيّ مدينة أخرى، قديمة أم حديثة، في مستوى حجمها الجغرافي. فمساحتها لا تتجاوز الكيلومتر المربع، لكن مكانتها الروحية والدينية طبقت الآفاق، وتراكماتها الطبقية والأثرية والتاريخية والمعمارية تغور عمقاً إلى أكثر من (24) طبقة أثرية، وسموها وعلوها في القلوب والوجدان يصل إلى عنان السماء. إنها بوابة الأرض إلى السماء، منذ فجر تأسيس نواتها في سلوان في الألف الثاني قبل الميلاد، فهي في الواقع تقدست قبل بزوغ الديانات السماوية التوحيدية الثلاث، حيث اعتبرت مركزاً روحياً للعالم القديم قبل ارتباطها بأية ديانة سماوية، ومعروف أن الديانة الوثنية الكنعانية منحت أول اسم للمدينة، وهو "أوروسالم" (Urusalim)، الذي اشتق منه أسماء المدينة التي تُعرَف بها اليوم بعدة لغات وصيغ مقتاربة، والتي من أشهرها، يروشليم، ويروسلم، وجروسلم.

إنها القدس أرض الإسراء ومسار المعراج، منها صعد السيد المسيح (عليه السلام) من هضاب جبل الزيتون، وعرج النبي محمد (صلى الله عليه وسلّم) من موقع مسجدها الأقصى الذي بارك الله حوله، وفيها كان لأنبياء الله داوود وسليمان (عليهما السلام) ما كان. إنها بيت المقدس، إنها القدس الشريف، إنها القدس التي باركها الله سبحانه وتعالى، إنها زهرة المدائن، وعروس المدن، ستزف إليها مكة والمدينة وسائر الخليقة يوم الحشر وساعة النشر، فيها الصراط وفيها الرحمة والعذاب في الدنيا والآخرة، إنها مدينة الله. إنها المدينة التي يفخر العرب والمسلمون بأنهم فتحوها سلماً، دون إراقة دم، أو سبي، أو تدمير، على النقيض من أغلب فاتحيها، قبل الإسلام وبعده.

إن تاريخ القدس القديم والحديث، والمستقبلي على الأغلب، سيكون في الواقع انعكاساً لهذه المباركة والقداسة، مع التنافس البغيض على حيازتها وإلغاء الآخر، وتبقى القدس رغم كل ما يحيط بها من تنافس، ومن مشاكل سياسية وتاريخية، المركز الروحي الذي ترنو إليه الأبصار والقلوب، والذي يتشكل منه جزء كبير ومهم من الذاكرة الإنسانية، وتبقى عمائرها دلالة على تاريخها وحضارتها ووجدانها، وشهادة على عروبتها وإنسانيتها التي وسعت التيارات الفكرية والدينية المتعددة.

نظرة على تخطيط المدينة المعماري

عمارة البلدة القديمة كما ترى اليوم، هي ثمرة تطورات وجهود معمارية وتخطيطية طويلة ومتراكمة، تأثرت بطبوغرافية المدينة المكوّنة من هضاب عدة وثلاثة وديان، منها واحد عميق يخترقها من الشمال إلى الجنوب (طريق الواد). وأسوار المدينة التاريخية القديمة والمتراكمة الطبقات، وبخاصة السور العثماني الذي أحاط بها إحاطة السوار بالمعصم، فرض تحديدات عدة على تطور المدينة ومشهدها وطرقها ومسالكها، وعلى مستوى البناء، واتجاهات الاستطراق والحركة لسكانها وزوارها. فوجود الواد المركزي (طريق الواد) مع هضاب البلدة القديمة، فرض على السائر من الواد إلى أيّ قسم منهما صعوداً، وإذا ما توجه من الأقسام المرتفعة إلى الواد نزولاً، وهذا، من الناحية المعمارية، فرض إيجاد تسويات بنائية، ومبانٍ تتكون من طبقات عدة متداخلة مع بعضها البعض.

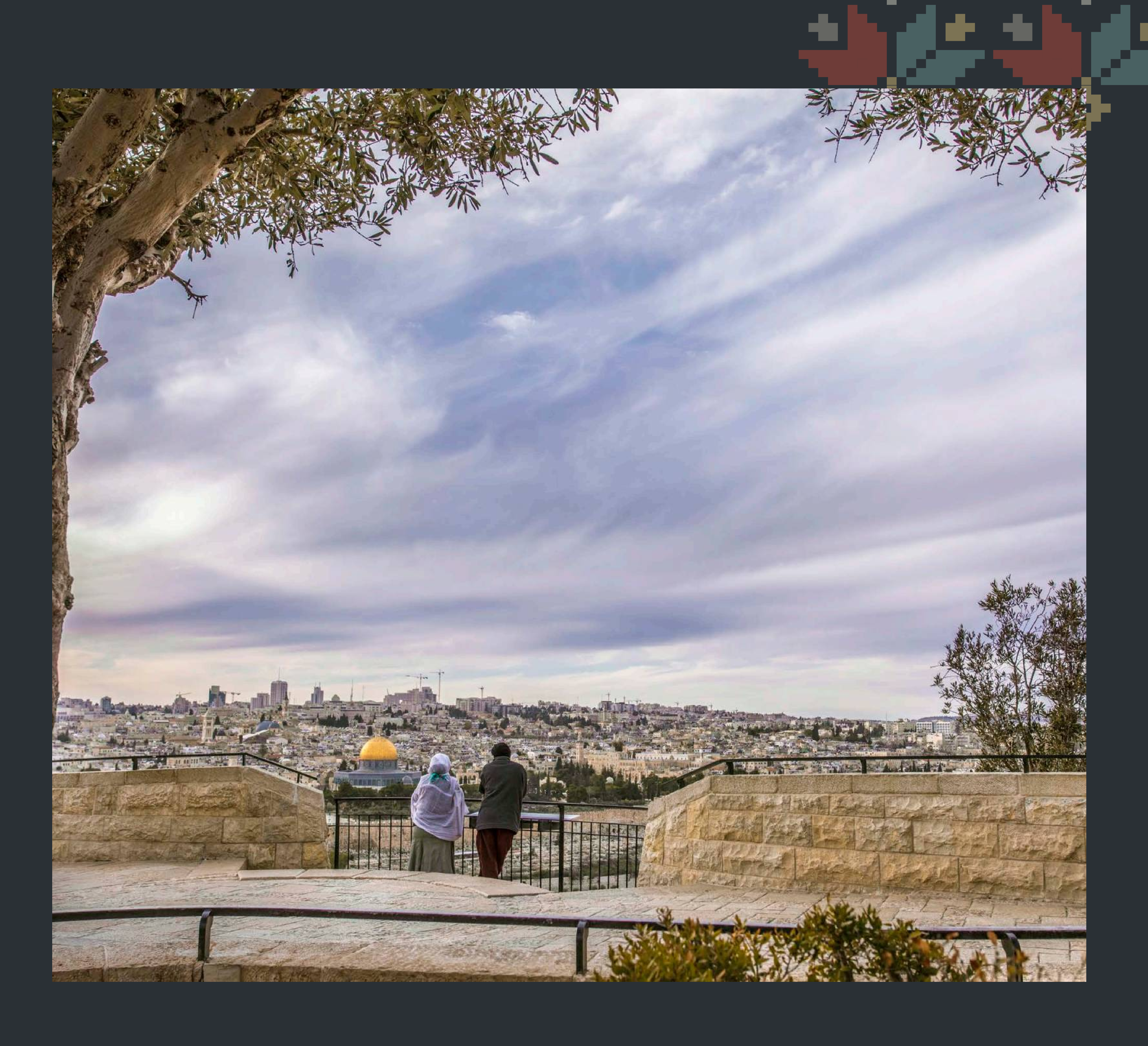
إن شكل المدينة، كما هو اليوم، هو أقرب ما يكون إلى المربع، وأن هناك أربعة أبواب محورية في الجهات الأربع الرئيسة تقود إلى داخل المدينة، هي: باب العامود من الشمال، باب النبي داوود من الجنوب، باب الأسباط من الشرق، باب الخليل من الغرب. إن خطوط الشوارع الرئيسة اليوم في البلدة القديمة تتشابه، لكنها لا تتطابق مع العديد من تخطيط المدن الرومانية، التي استمدت نظامها التخطيطي من هيئة المعسكر الروماني، فهناك في القدس طريقان، بدلاً من طريق واحد، رئيسان يقطعان المدينة من الشمال إلى الجنوب: الأول طريق خان الزيت الذي عرف باسم الكاردو العلوي، والذي يمتد من باب العامود حتى باب النبي داوود؛ وطريق الواد الذي عرف باسم الكاردو السفلي، والذي يمتد من باب العامود إلى باب المغاربة جنوباً.

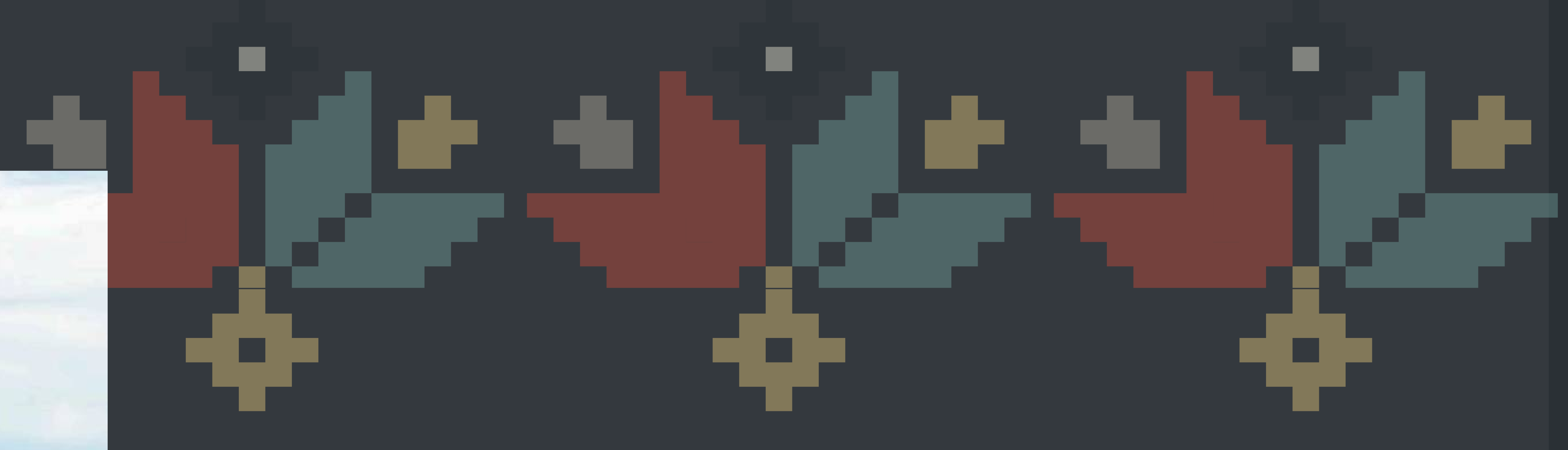
ومع التشابه بين تخطيط القدس وتخطيط الكثير من المدن الرومانية الكلاسيكية، فمن الجدير ذكره أن مظهر المدينة المقدسة ووجهها، وكما هو اليوم، رغم كل محاولات التبديل والطمس والتغريب، جعل ويجعل منها مدينة إسلامية عربية، من مدن العصور الوسطى. بل هي متحف معماري زاخر بالعناصر الفنية المعمارية والزخرفية كالأسبلة، والقباب، والقناطر التي تجسر بين جنبات الشوارع والأزقة الضيقة، والمشربيات التي تعلو النوافذ والشرفات، والحجارة الملونة ذات الزخارف النباتية والهندسية، والمقرنصات، والمآذن، والمحاريب، ... وغيرها من العناصر. وأغلب مبانيها ومعالمها التاريخية أسست وازدهرت في فترة الحكم الإسلامي، لما اتسم به من الاستقرار والعطاء. هذا، وتوجد مجموعة رائعة من هذه المباني تنسب إلى فترة الفرنجة، وإلى الفترة الحديثة الواقعة بين 1840-1917م.

إطلالة على الوظائف المعمارية في عمارة القدس

إن نظرة فاحصة على النسيج المعماري للبلدة القديمة في القدس، تفصح عن تنوع كبير في المعالم والمباني المعمارية، بحيث يمكن القول إنها شملت معظم النشاطات الإنسانية التي تحتاجها أي مدينة عامرة من المدن التاريخية، وهي، بالأحرى، معرض أو متحف مفتوح ضم عمائر ذات أغراض متعددة، منها ما كان عسكرياً دفاعياً، ومنها ما كان دينياً روحياً، ومنها ما كان مدنياً دنيوياً، استجاب لحاجات السكان والزوار على مر الفترات التاريخية. وغني عن التأكيد، أنه رغم الاصطلاح في تقسيم وظائف العمائر إلى دفاعية ودينية ومدنية، فإنها تتداخل مع بعضها البعض، علاوةً على أن هناك مجموعة من المعالم المتعددة الوظائف المتنوعة التي يصعب تصنيفها ضمن عنوان فرعي، أو عنوان رئيسي.

ومع الأخذ بالاعتبار ما ذكر من معالم متنوعة ومبانٍ بسيطة يغلب عليها الرتابة والتقشف المعماري، مما يخرجها عن كونها معالم معمارية بارزة ذات قيم جمالية وتخطيطية، يبقى أصوب السبل للتعرف على نماذج من معالم القدس المعمارية، وإنجاز جاليري مشوّق تُمَثّل فيه معالم القدس المعمارية التراثية، هو تتبع العمائر والمعالم ذات القيم المعمارية حسب الفئة الوظيفية المنوطة بها.



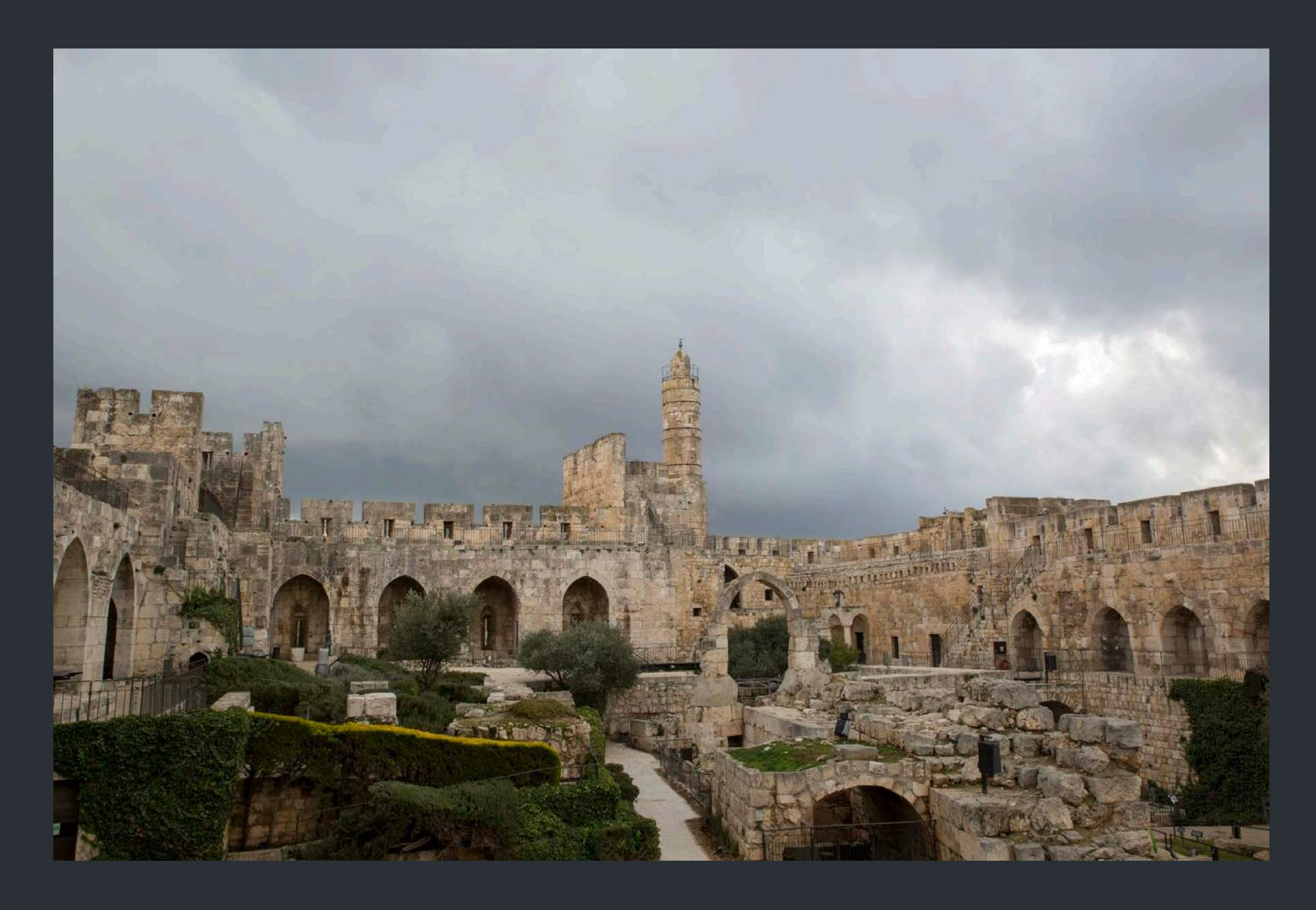


القلاع والأسوار والأبراج

الحصن، المعقل، الأطم، الحامية، كلها مرادفات للقلعة التي يقصد بها مجمع معماري كبير يضم وحدات داخلية عدة، وأبراجاً وتحصينات وعناصر معمارية عسكرية، تكون في موقع مشرف واستراتيجي يحقق حماية ودفاعاً للمدن والمواقع. وتاريخياً، تم تأمين حماية المدن، وبخاصة الإسلامية، إما بوجود قلعة للمدينة، وإما عبر أسوار حصينة، وأحياناً بكليهما كما هو الحال في مدينة القدس، حيث تضم سوراً وقلعة، وحماية طبيعية من وديان وهضاب، وكل ذلك لم يمنع وقوعها في الحروب، واستباحتها عبر التاريخ. ومع أن قلعة القدس تحتاج إلى صفحات عدة، بل إلى مؤلف كامل وقد لا يفيها حقها، فإنه يكتفى هنا بلمحة موجزة عنها، على أمل أن تحفز مزيداً من الاطلاع والمعرفة والزيارة لهذا الموقع المهم.



جزء من الجدار الجنوبي لسور القدس في القسم الغربي لمدينة القدس



قلعة القدس

تُعرَف باسم محراب داوود، حسب التقاليد الإسلامية وذلك من باب التقدير والتكريم للنبي داوود (عليه السلام)، ومنها شاع الاسم قلعة داوود، رغم أنها لا تمت معمارياً أو تاريخياً للنبي داوود (عليه السلام)، لكنه خطأ شائع، وتوسع استخدامه بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس العام 1967. وللقلعة موقع حصين، على أحد تلال القدس الغربية، قريباً من أحد الوديان الثلاثة في مدينة القدس، ما يشكل حصانة ومنعة زائدة للمدينة والموقع. فتوجد القلعة في القسم الغربي من البلدة القديمة، ما بين باب الخليل جنوباً ومبنى القشلة (مقر لشرطة الاحتلال الإسرائيلي) شمالاً، وهي تتشارك مع سور القدس في جزء من الجدار الغربي.

وقلعة القدس مَعْلَم قديم ومُرَكَّب، نواته البسيطة تعود إلى العهد اليوناني، وفيه تراكمات معمارية من فترات عدة، أشهرها الأموية، والسلجوقية، والأيوبية، والمملوكية، والعثمانية.

ومَعْلَم مهم كالقلعة لا شك أنه حظي باهتمام مجموعة من رعاة العمارة، كهيرود (37-4 ق. م)، والملك المعظم عيسى (615-624هـ/1218-1227م)، والناصر محمد بن قلاوون (710هـ/1310م)، والسلطان سليمان القانوني (938هـ/1531م). لكن الإضافات المنسوبة إلى هيرود تعود إلى قصره وليس في أصل تخطيط القلعة.

لا بد من التأكيد على أن القلعة مجمع معماري كبير، يتمتع بموقع فريد وصفات معمارية ذات قيم فنية، وارتبط الموقع بالمدينة وسكانها عبر تاريخها الطويل. فهي تُخَلِّد ذكرى محراب النبي داوود (عليه السلام) الذي ذُكِرَ في القرآن الكريم في سورة ص (ترتيب السورة رقم 38 في المصحف الشريف – الآية الكريمة رقم 21) حسب الرواية العربية الإسلامية؛ وذلك من باب التقدير والتبجيل للنبي داوود (عليه السلام) وليس كونها بناء يعود إلى فترته، وهي مكان إقامة ملوك الفرنجة في سنة 1120م، ومقر الحامية الإنكشارية، ومقر الدزدار؛ أيْ قائد القلعة في الفترة العثمانية. وجرت في القلعة حفريات أثرية متعددة، كشفت عن بقايا وأسس أبراج من الفترة اليونانية، وجدران بيزنطية، وبرج أموي دائري، ومدخل إسلامي داخلي. وكُشِفَ، أيضاً، عن مجموعة من النقوش الكتابية التي تدلل على نشاط معماري أيوبي ومملوكي وعثماني زاهر.



سور القدس

السور يقصد به سياج، أو جدار، أو حائط صلد، يحيط بدار أو مبنى أو منشأة أو مدينة، من أجل التحصين والحماية، ودفع الأخطار والاعتداءات. ومثل غالبية المدن التاريخية، صاحب مدينة القدس نشأة سور وتطوره، امتد وتقلص معها، والسور العثماني لمدينة القدس، هو على قدمه، أحدث أسوار المدينة، ويعتبر مكوناً أساساً من مكونات المدينة المعمارية، وله مكانة مهمة، فقد ساهم مع بقية مباني المدينة في تشكيل ملامح القدس، وأعطاها شخصيتها المعمارية المادية، عوضاً عن أنه أول ما يواجه الزائر للمدينة.

إن السور العثماني الحالي يتبع خطوط وأساسات السور الذي سبقه، وبخاصة السور الأيوبي الذي أحاط بالمدينة بعد تحريرها في العام 583هـ/1187م، ويتميز السور بأنه مكتمل، على عكس مدن إسلامية عدة فيها فقط أجزاء من الأسوار التي بنيت حولها. وإضافة إلى ذلك، فإن سور القدس بني في حملة واحدة، ونسيجه المعماري يحفل بمجموعة من الزخارف الهندسية والكتابية والنباتية الممثلة لمدرسة العمارة العثمانية.

بُنِيَ السور الحالي لمدينة القدس في أوائل العهد العثماني استجابةً لأوامر من السلطان العثماني سليمان القانوني (926-974هـ/1520-1566م). ومشروع سور القدس العثماني قد نُفِّذَ فيما بين السنوات 944-947هـ/1537-1541م، وذلك اعتماداً على ما ورد في حوالي 13 لوحة كتابية تأسيسية، واستمر العمل في السور مدة خمس سنوات تقريباً. ويوجد في سور القدس 34 برجاً، أشهرها برج اللقلق (945هـ/1538-1539م)، وبرج كبريت (947هـ/1540-1541م).

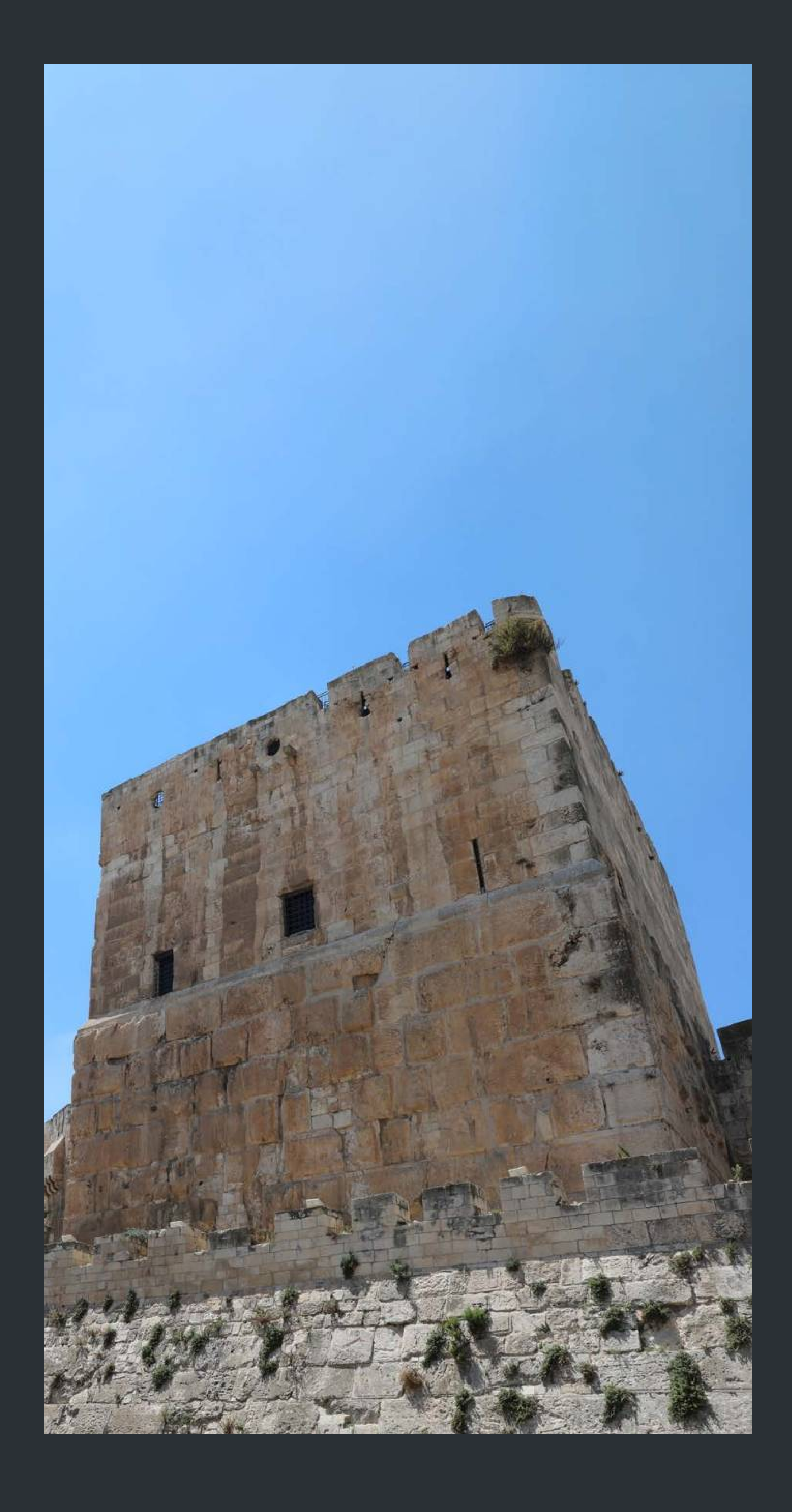
الأبراج

مفردها برج، ويعني لغة ما ظهر وارتفع، والبرج كتلة معمارية ضخمة متنوعة الشكل، تبرز عن مستوى الجدار بهدف التحصين والدفاع، تسمح بالمراقبة والاستطلاع والدفاع. وفي عمارة القدس مجموعة كبيرة من الأبراج البسيطة في سور القدس، لكن هناك أبراجاً تشكل معالم معمارية مستقلة ذات تخطيط وزخرفة باذلة. ومن أشهر أبراج القدس برج فصايل، وبرج المتحف الفلسطيني، وبرج اللقلق، وبرج كبريت، ويمكن أن نضيف برج جرسية كنيسة القيامة، وبرج كنيسة الفادي (المخلّص) في الدباغة، ولا يمكن أن نغفل برج المطلع أوغستا فيكتوريا، وبرج الكنيسة الروسية، وكلاهما من معالم جبل الزيتون. وتم ترشيح برجين، الأول ضخم وكبير وهو من مركبات قلعة القدس، ويعود إلى الفترة الرومانية، والثاني جميل جداً ويعود إلى الفترة العثمانية، وهو غير مشهور أسوةً بغيره من الأبراج، على أمل تسليط الضوء عليه.

برج فصايل

هناك من نسب البرج إلى هيبكوس. ويقع البرج في القسم الشرقي في قلعة القدس، على بعد أمتار عدة شمال مدخل القلعة الشرقي العثماني الطراز، حيث يفصله عن الطريق العام خندق القلعة. ومؤسس البرج هو هيرود الكبير (37 -4 ق.م، Herod the Great)، وهو يعرف بهيرود الأول، الذي ولد سنة 72 ق.م للمؤابي أنتيباتر (Antipater)، وأمه الأميرة الأنباطية سيبروس (Cypros)، والذي حكم القدس من قبل روما، وهو من أشهر بناة القدس في الفترة الرومانية.

والبرج حالياً من وحدات قلعة القدس، لكنه في الأصل من أهم بقايا قصر هيرود الذي ذُكر أنه يحتوي على ثلاثة أبراج (فصايل Phasael، مريامة Mariamne، وهيبكوس Hippicus)[1]، وأضحى جزءاً من قلعة القدس، وأصبح أحد معالمها. ويمتاز البرج بالضخامة والتكتل، وفيه حجارة كبيرة الحجم، بأسلوب الطبزة، والأقسام العلوية من البرج فيها إضافات معمارية لاحقة من الفترتين المملوكية والعثمانية.



1 فصايل هو الأخ الأكبر لهيرود، ومريامة الأولى إحدى زوجاته، وهيبكوس أحد قادته، ولم يقطع بنسبة هذا البرج ما بين فصايل وهيبكوس.

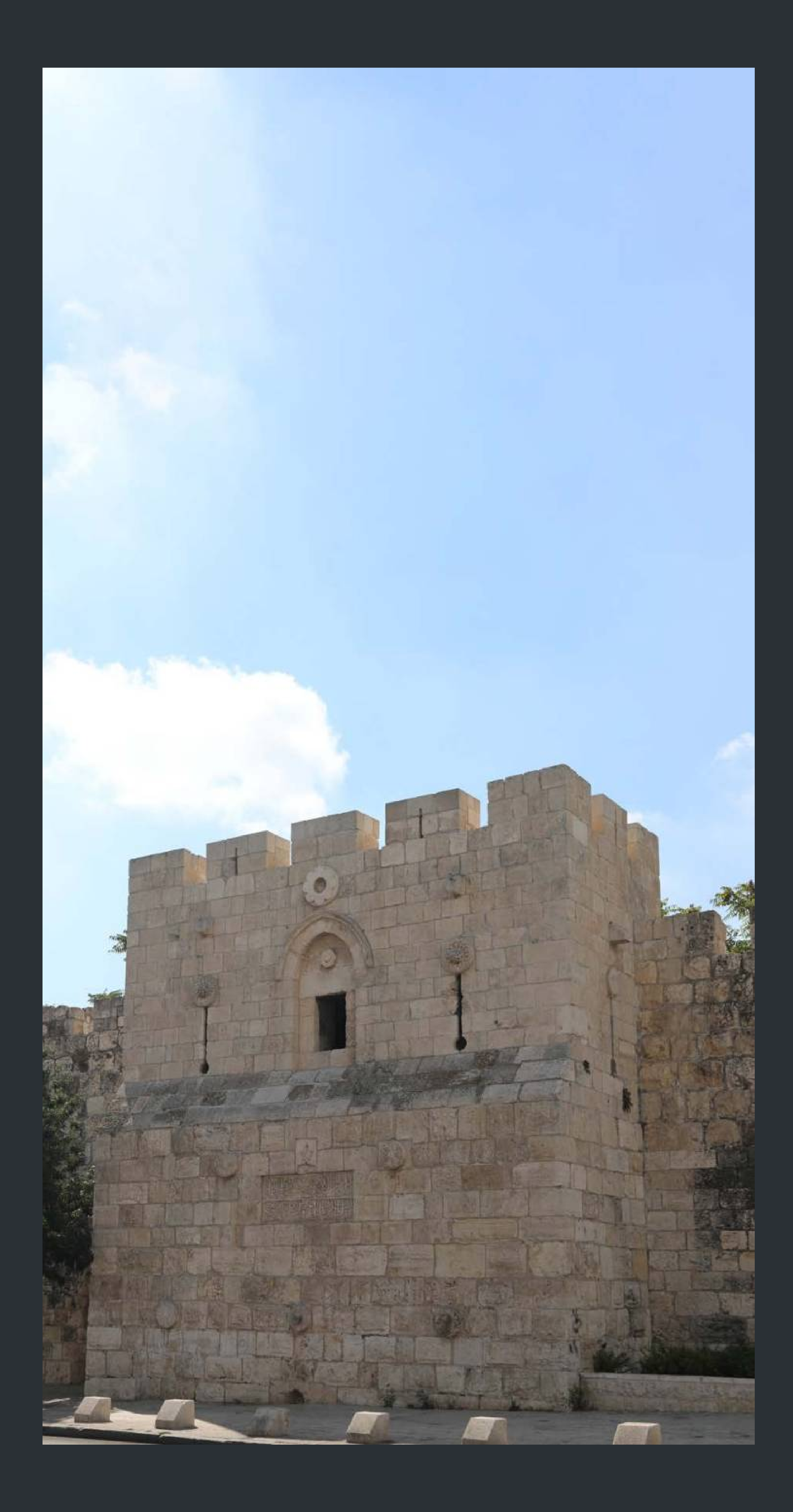




برج المتحف الفلسطيني

ويمكن أن يسمى، أيضاً، ببرج المدرسة الرشيدية، لقربه من المدرسة، حيث إنه يقع ما بين باب الساهرة غرباً وبرج اللقلق من الشرق، وهو مقابل مدخل المتحف الفلسطيني روكفلر، والجزء الشرقي من مباني المدرسة الرشيدية. ويتميز المَعْلَم بأنه مؤرخ في العام 945هـ/1538م، حسب نقش كتابي ثُبّت على واجهة البرج الشمالية. ومن النقش يُفهَم أن المؤسس هو السلطان العثماني سليمان القانوني الذي أمر ببناء سور القدس، علماً أن المشرف على البناء كان الإداري المتنفذ محمد جلبي النقاش، أحد أبرز رجال الحكم والإدارة العثمانية.

هذا البرج في الواقع لوحة فنية وزخرفية جميلة ومتقنة البناء، وتبرز فيها جوانب مهمَّة من مدرسة العمارة العثمانية، وهذه الزخارف تدعو الناظر إليها إلى التأمل في جمالها وأصولها ودقة تنفيذها. والبرج هو كتلة بنائية تبرز عن مستوى السور، هدفها زيادة حصانة السور. أرضية هذا البرج كانت محاطة بخندق عميق يحيط بجدار السور الشمالي. ويزين هذا البرج زخارف جميلة ولوحة كتابية، إضافةً إلى العديد من العناصر الزخرفية للدوائر الحجرية، وللأوراق الثلاثية الفصوص.







الأبواب

في عمارة القدس وسورها ومساجدها وكنائسها سلسلة من الأبواب الجميلة، منها ما هو روماني الطراز، ومنها ما هو أموي، والغالبية مملوكية وعثمانية.

ومن أشهر أبواب القدس المعمارية نشير إلى باب العامود، وقوس عقد هادريان إيكي أومو، وباب الرحمة، وباب التوبة، وباب سبيل قايتباي (وارن Warren)، والباب الثلاثي، وباب النبي، وباب البراق، والباب المفرد، وباب السلسلة والسكينة، وباب الناظر، وباب العتم، وباب حطة، وباب المطهرة، وباب الغوانمة، وباب المغاربة، وباب القطانين، وباب الحديد، وباب الساهرة، وباب الأسباط (سور القدس)، وباب الخليل، وباب النبي داوود، وباب المغاربة، وباب الأسباط (المسجد الأقصى المبارك)، والباب الجديد. وتم اختيار ثلاثة أبواب، الأول مملوكي يمثل مدرسة العمارة المملوكية بما فيها من خصائص ومميزات من المقرنصات، والحجارة الملونة، والعقود الجميلة، وهو باب القطانين، أحد مداخل المسجد الأقصى المبارك. والبابان الآخران في سور القدس، الأول باب العامود وهو تحفة معمارية له مكانة مرموقة في وجدان أهل القدس، ويتكون من طبقات معمارية رومانية عدة من فترة هادريان والسلطان سليمان القانوني، والثاني سمي بالباب الجديد، وهو باب بسيط جداً عبارة عن فتحة، ويُظهر مفارقة جمة مع باب العامود.

باب العامود

واشتهر باسم باب دمشق، وباب نابلس، والجزء السفلي منه بباب هادريان (Hadrian)، وهو من أبرز معالم القدس، حيث يقع شمال البلدة القديمة على محور طريق الواد وطريق خان الزيت، وبه تعلّم وتحدد الأماكن ونقطة اللقاء. والباب مركب، القسم السفلي جهة الشرق يعود إلى سنة 117-138م. وهو الجزء الشرقي من باب كان ثلاثيّ العقود. وجدد هذا الباب في الفترة الأموية، وأقيمت صهاريج إلى الشرق والغرب منه، وأهمل الباب بعد الفترة الإفرنجية، إلى أن تمت إعادة بنائه على الأساسات الرومانية وبالهيئة الحالية بفضل أوامر من السلطان العثماني سليمان القانوني العام 944هـ/1537م.

إنه أيقونة السور، وأجمل أبواب سور القدس العثماني، حيث مميزات العمارة الإسلامية العثمانية. ويظهر في نسيج الباب المعماري كثير من العناصر المعمارية العسكرية مثل الشرفات، والأبراج، والمزاغل، والسقاطات، والزخارف الحجرية الحقلية، والفصوص الحجرية الجميلة. والواقع أن واجهة الباب لوحة معمارية تتغنى بمظاهر وعناصر فن العمارة العربية الإسلامية. حاز باب العامود على محبة وتقدير أهل القدس وزوّارها، وحجز له مكانة لا تتزعزع في وجدان أهل القدس في هذه الأيام، حيث أصبح رمزاً للصمود والمقاومة، فهو أكثر من مجرد باب، إنه رمز البقاء والارتباط والاستمرارية بالمدينة، فهو مركز الأحداث، فيه تتم التجمعات والنشاطات التي أحياناً تقمع وتمنع، وفيه يربض المقدسيون وحتى زوار المدينة من أنحاء متعددة على جانبي الباب، يتأملون جماله ويسرحون في أفكارهم.

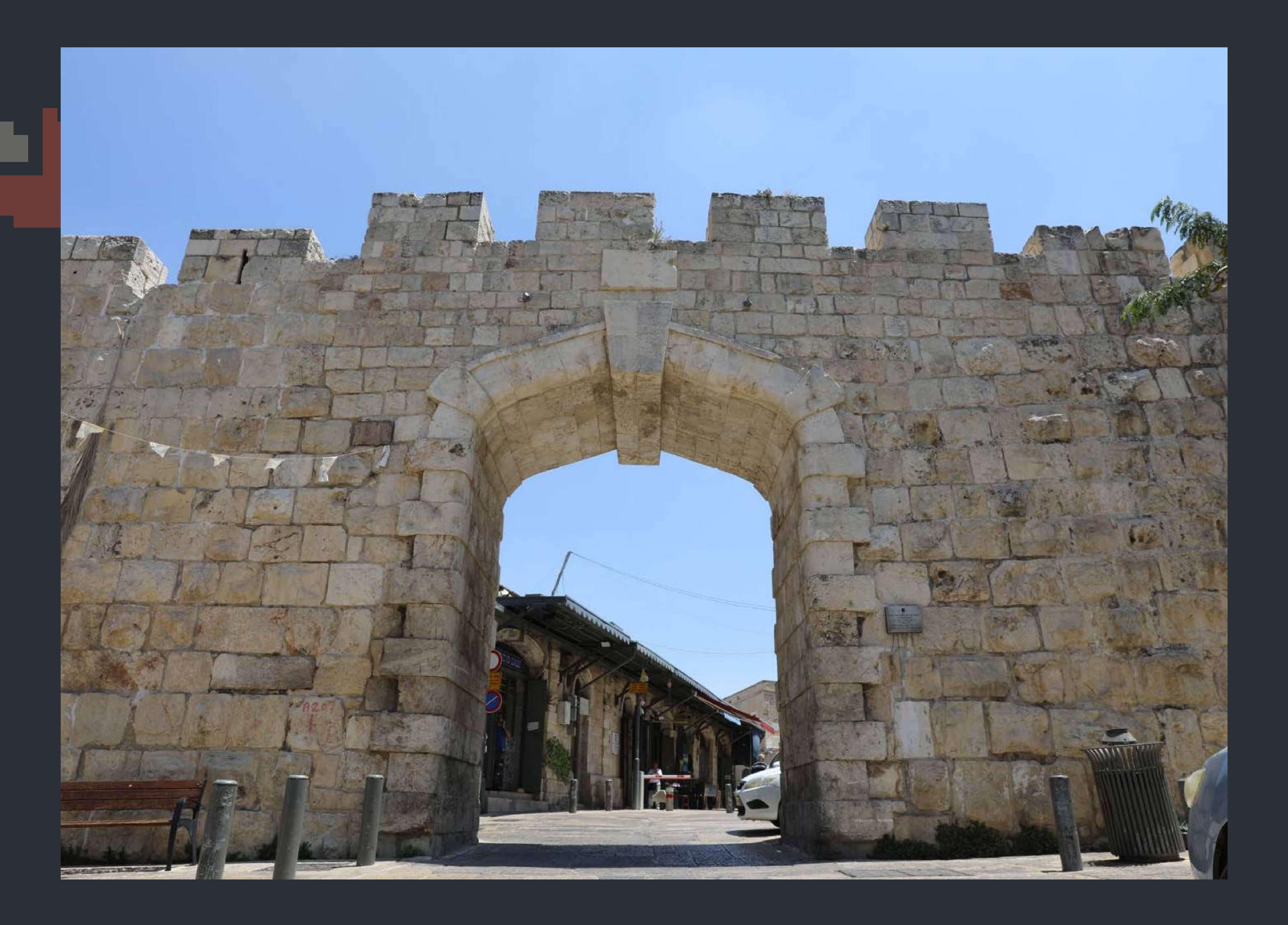


باب سوق القطانين

حري أن يُعرَف باسم باب السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أو باب الأمير تنكز الناصري، ذلك لأنهما من قام ببناء الباب في العام 737هـ/1337م.

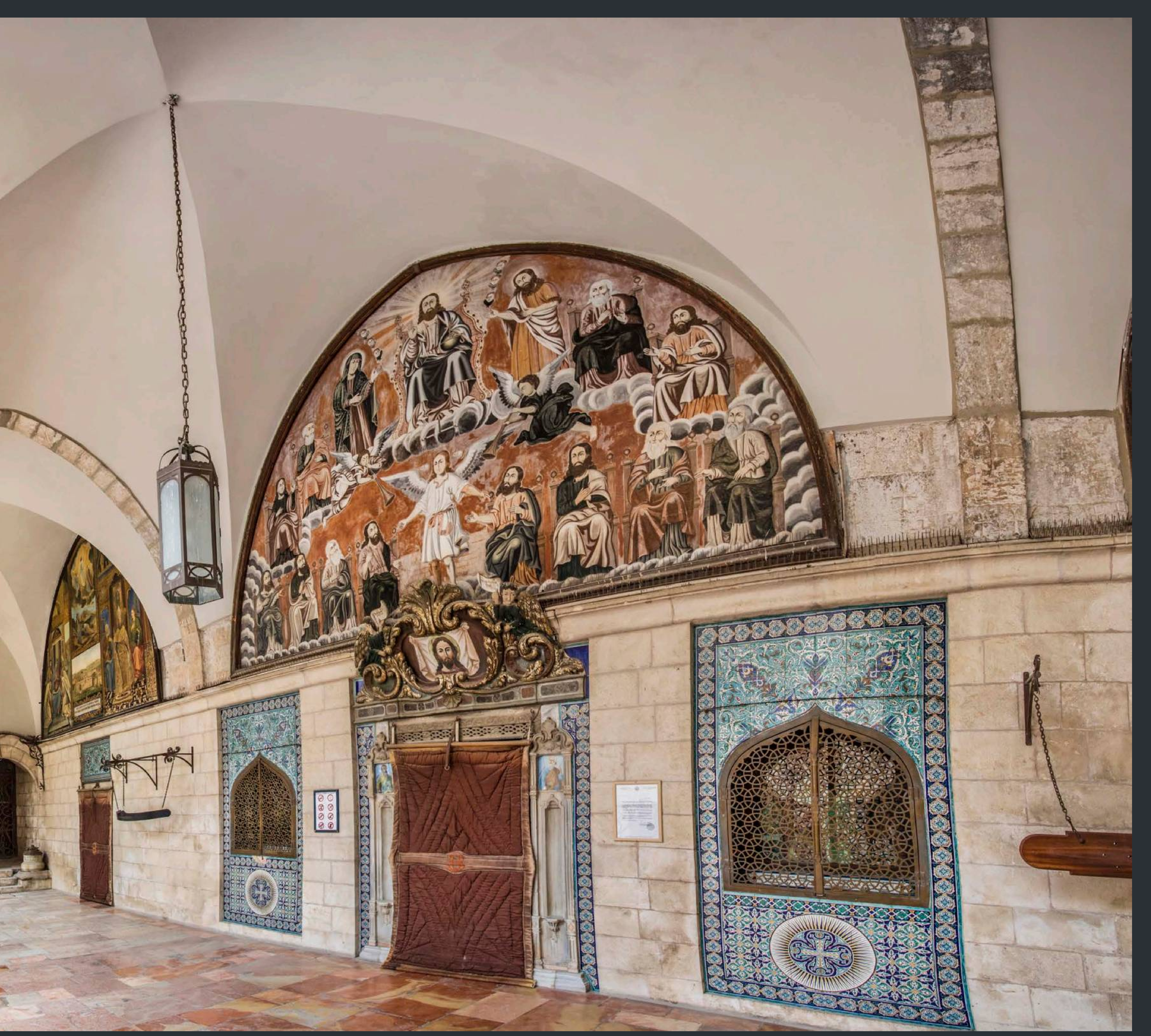
وباب سوق القطانين أحد أجمل وأهم أبواب المسجد الأقصى المبارك في الجدار الغربي ما بين باب الحديد وباب المتوضأ، وهو يشكل النهاية الشرقية لسوق القطانين. يحوي نسيج الباب المعماري عناصر معمارية وزخرفية تعكس قمة العمارة المملوكية في القدس والمسجد الأقصى المبارك، ومدخله متميز بفنه الرائع الخلاب، المكون من طاقية مدخل تنتهي بعقد ثلاثي الفصوص محاطة بحنية كبيرة متراجعة على شكل نصف دائرة، محمولة على خمس صفوف من المقرنصات الحجرية، ووزعت حجارته على أسلوب الأبلق، الأسود والأحمر والرمادي.





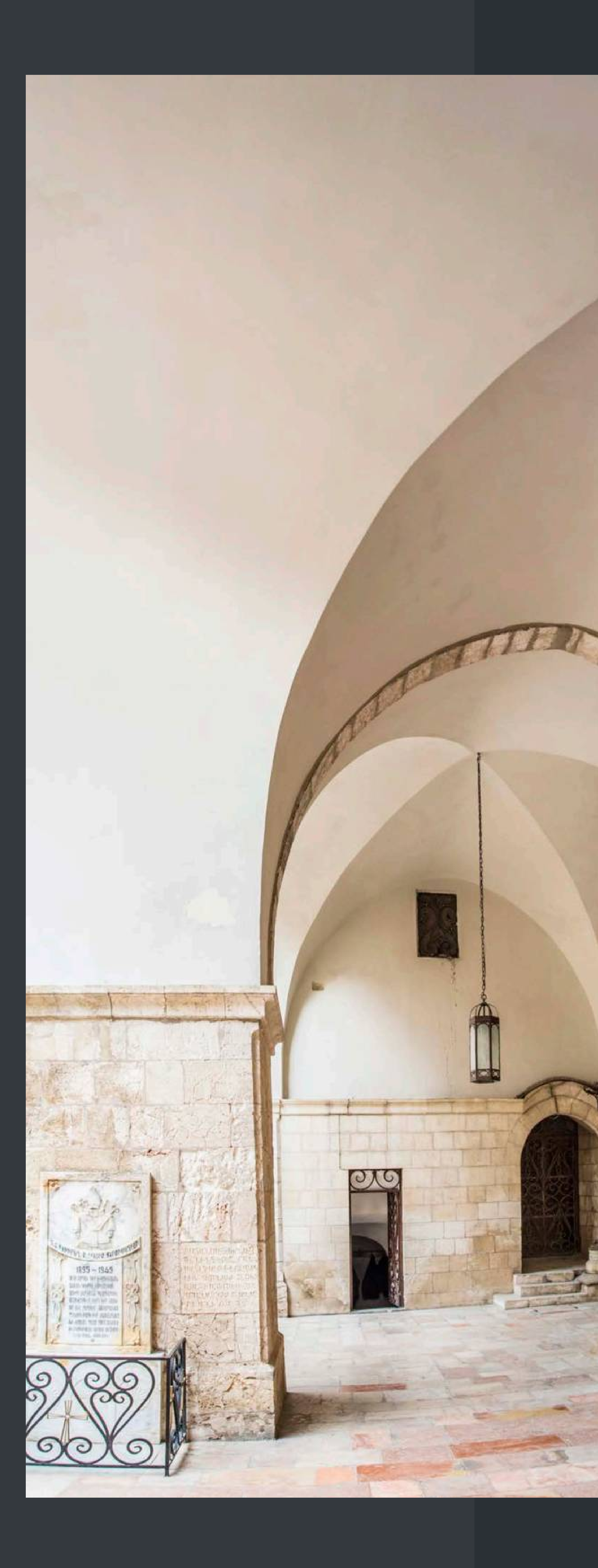
الباب الجديد

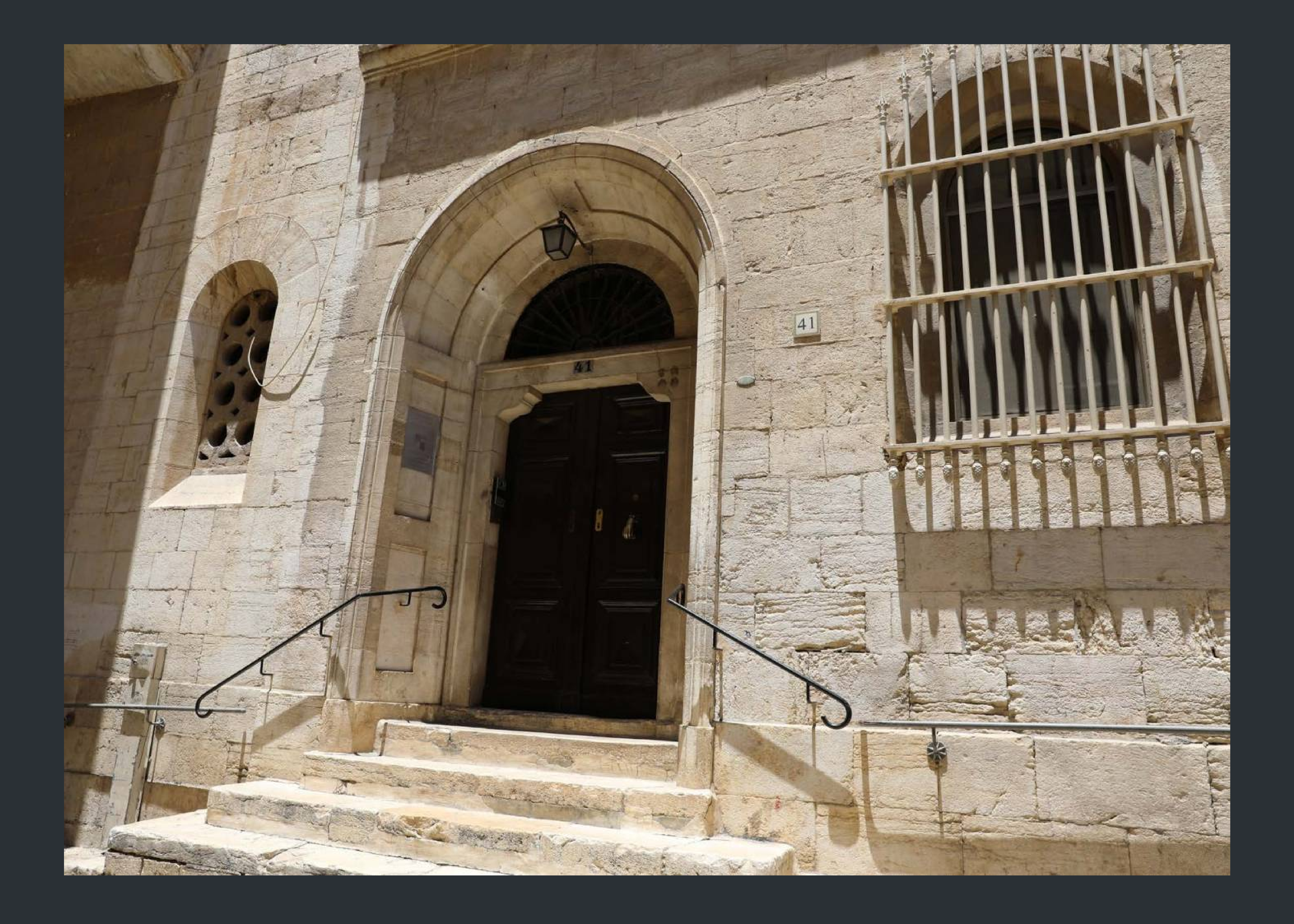
وهو يعرف باسم باب السلطان عبد الحميد، لأنه فُتِحَ في فترة حكمه، وفي سنة 1306هـ/1889م على وجه التحديد. ويقوم الباب، أو بالأحرى فتحته البسيطة، قرب الزاوية الشمالية الغربية لسور القدس. وهو باب بسيط جداً، بدون أيْ درفات خشبية لإغلاقه، وقد فتح ليسهل الانتقال بين البلدة القديمة وما بُنِيَ خارج السور من مؤسسات وأماكن إقامة، مثل: مستشفى القديس يوسف الفرنسي المقابل له، الذي بُنِيَ في سنة 1887م، وذلك بعد انتشار البناء خارج الأسوار، ورغبة في التيسير على سكان البلدة القديمة، وبخاصة في منطقة حارة النصارى، للخروج والدخول إلى الأماكن والمؤسسات التي أقيمت في شمال المدينة المقدسة وشمال غربها. لذا، فهو ليس باباً أصيلاً كما يمكن أن يعتقد البعض.



الجدار الغربي لكنيسة القديس يعقوب - دير الأرمن

مفردها دير، وهي كلمة آرامية الأصل، وتجمع على أديرة، وديور، وأديار، والقصد أنها مكان إقامة وتعبد المتنسكين والمتأملين من المنقطعين للعبادة من الرهبان والراهبات في العقيدة المسيحية. وتوجد الأديرة داخل المدن وخارجها، وبخاصة في برية القدس. وهي في القدس وفلسطين قديمة قدم اعتبار المسيحية الدين الرسمي للدولة في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. والدير، في الواقع، مجمع معماري، تختلف مساحته من دير إلى آخر، لكنه يحوي، في الأغلب، كنيسة، وقاعات تعبد مشتركة، وغرف إقامة ومعيشة، وصوامع للانفراد والتأمل، وإذا كان خارج المدن يكون مسوراً، وفيه مصدر للماء، وحيز معماري، وأرض وقفية. وأديرة القدس كثيرة ومتنوعة، وتتمثل فيها أغلب الطوائف المسيحية، وأغلبها قديم يعود في تأسيسه إلى الفترة البيزنطية، وقد تم ترميمها على مر الزمن. ومن أشهر أديرة القدس دير السلطان، ودير الحبش، والدير الكبير (دير قسطنطين)، ودير الدباغة، ودير وكنيسة أوجاع العذراء، ودير المسكوبية، ودير راهبات صهيون (ها هو ذا الرجل (إيكي أومو))، ودير مار إبراهيم، ودير القديس يوحنا المعمدان، ودير السلطان، ودير المخلّص، ومجمع بطريركية الروم الأرثوذكس، وبطريركية اللاتين، ومجمع بطريركية الأقباط، ودير العدس، وبطريركية الحبش. وقد يضم الدير كنيسة مشهورة أو بطريركية أو أماكن سكن، وبهذا فالدير قد يعرف باسم إحداها، ما يدل على تعدد وحدات الدير المعمارية، وتنوع استخداماته الحياتية، هذا علماً أن بعض الأديرة قد تحولت من وظيفتها الأصلية التعبدية، لتتناسب وإيقاع الحياة وتطورها، كدير راهبات صهيون. واختير دير راهبات صهيون ودير السلطان لما يكتنفهما من خصام واختلاف في الملكية ما بين الأقباط والأحباش، هذا علماً أن أديرة أخرى سوف تكون تحت مسمى الكنائس.





دير راهبات صهيون

يقع هذا المعلم المركب في الجهة الشمالية من طريق الآلام عند التقائها مع طريق باب الغوانمة وطريق عقبة الراهبات. وعرف هذا الموقع بمسميات عدة منها: قوس "عقد" هادريان، دير "ها هو ذا الرجل» (إيكي أومو Ecce Homo)"، دير راهبات سيدة صهيون، البازيليكا (Basilica)، بلاط الليثوستروتوس (Lithostrotos)2 (البلاط الروماني)، بركة الستروثيون (Struthion) (بركة النعامة، بركة السنونو، العصفور)، وكثرة هذه الأسماء تدل على غنى الموقع وأهميته، وبخاصة بالنسبة لمحاكمة السيد المسيح، وللجهود المعمارية التي قام بها هيرود. وهذا يصعب من تأريخ الموقع، ويجعله من المواقع ذات التاريخ المركب التي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد (30 ق. م) وإلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وإلى العام 1857 والعام 1868 من القرن التاسع عشر الميلادي. وبخصوص المؤسس، فقد تعاقب على عملية البناء أشخاص عدة منهم: هيرود الكبير (30 ق. م)، الإمبراطور هادريان ومؤسسو ومسؤولو كنيسة راهبات سيدة صهيون.

يوجد المَعْلَم في منطقة جرت فيها أحداث تاريخية ودينية مهمة، تركت بصمات أثرية ومعمارية، فبالقرب من الموقع، كانت قلعة أنطونيا، وكنيسة الجلد والحكم، وفي الموقع بقايا معمارية لبركة مائية من فترة هيرود سُقفت لاحقاً زمن هادريان لإقامة طريق وعقد كبير يتكون من ثلاثة عقود، الأوسط يشاهد من الطريق، في حين الشمالي الأصغر يشاهد من داخل الكنيسة البازيليكا، وهذا العقد يشبه مدخل باب العامود الروماني السفلي، وقد اعتقد البعض أنه قوس نصر، والبعض الآخر يرى فيه حداً من حدود مدينة إيليا كابيتولينا. وسمي هذا القوس وارتبط بالتقليد المسيحي، وإلى ما ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح 5-19، من قول بيلاطس قولته في المسيح: "ها هو ذا الرجل" (Ecce Homo). والجدير بالذكر أن العلّيّة التي تعلو القوس، هي امتداد وملك للزاوية النقشبندية، وحالياً جزء من بيت المغرب الثقافي الذي يؤمل ممارسة نشاطه قريباً.

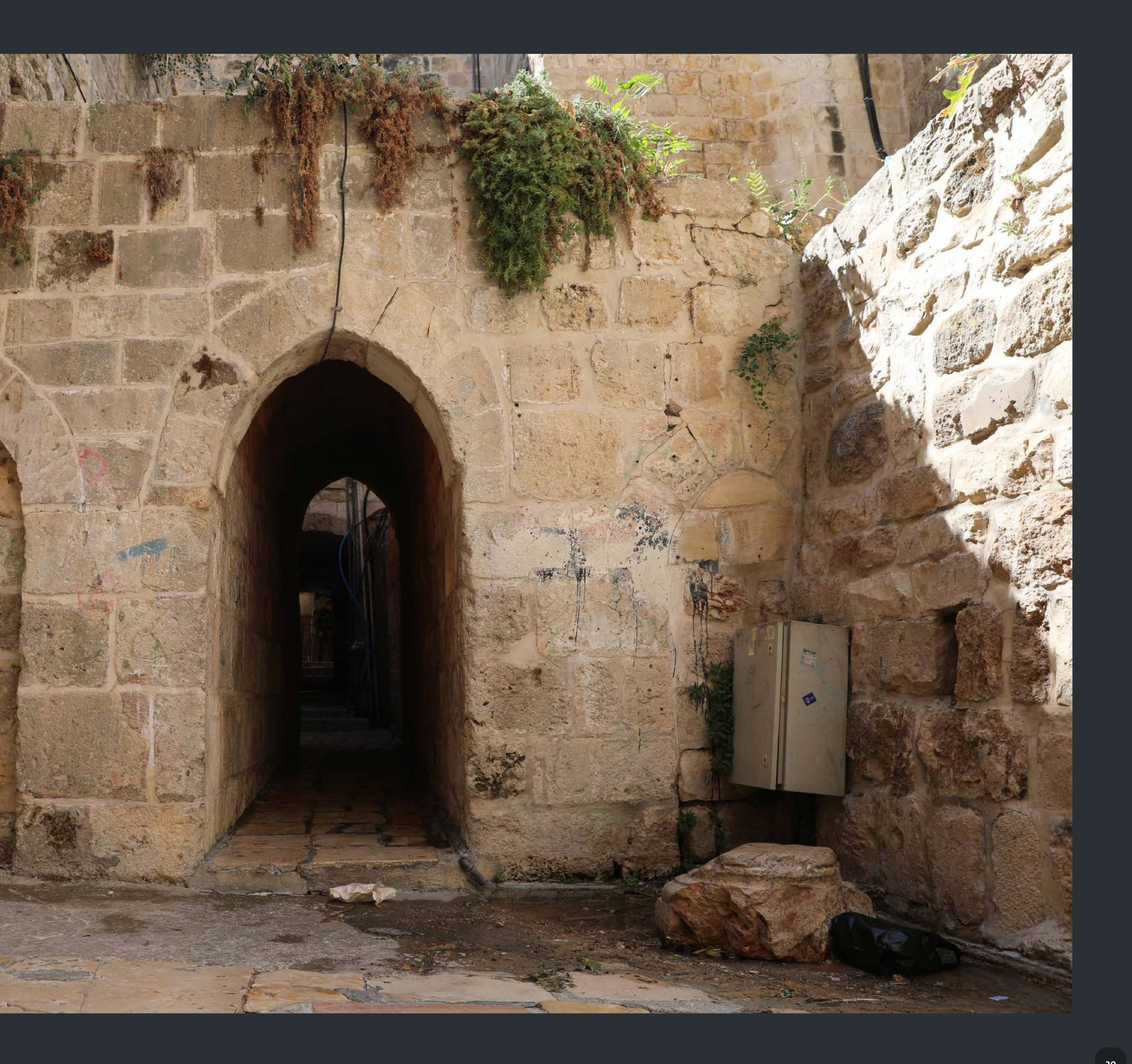
2 مصطلح يوناني ذكر في إنجيل يوحنا 19:13 حدد مكان محاكمة المسيح، ويعني لغة بلاطاً حجرياً، والبلاط محزز (مثلّم).



دير السلطان

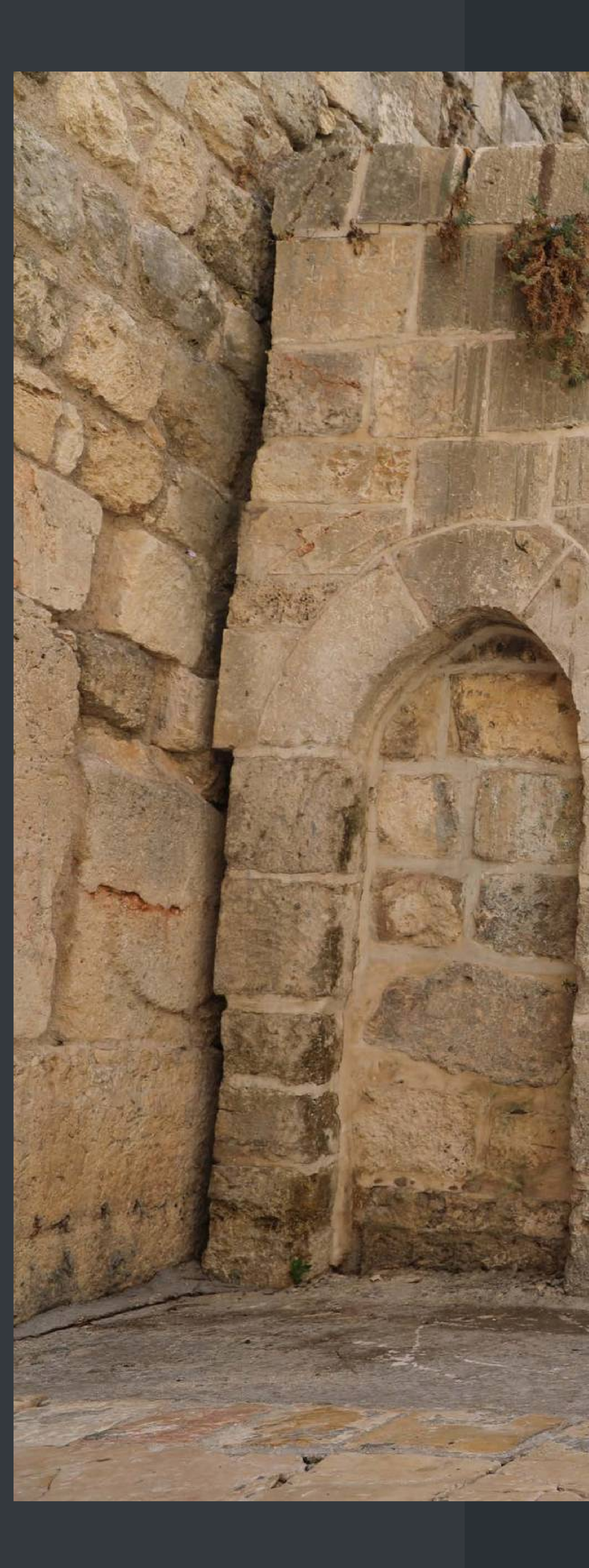
ويطلق عليه دير الأقباط، ودير الحبش، وهو إلى الجنوب والجنوب الشرقي من سطح كنيسة القديسة هيلانة في مجمع كنيسة القيامة، ويتم الوصول إليه من طريق فرعي من طريق خان الزيت في الجهة الغربية، حيث مدرسة القديسة هيلانة، والمرحلة التاسعة من درب آلام السيد المسيح، أو من داخل كنيسة القيامة عبر كنيسة الكائنات الأربعة الروحية غير المتجسدة. والدير غير مقطوع بتاريخه، لكن يرجح أنه كدير من الفترة الإفرنجية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ومن الأملاك التي تركها اللاتين حال نزوحهم بعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس. ومع أن المؤسس الأصلي غير معروف، فإنّ الاسم ارتبط بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، ما يرجح إعادته إلى سلطة الأقباط حال الفتح الصلاحي للقدس.

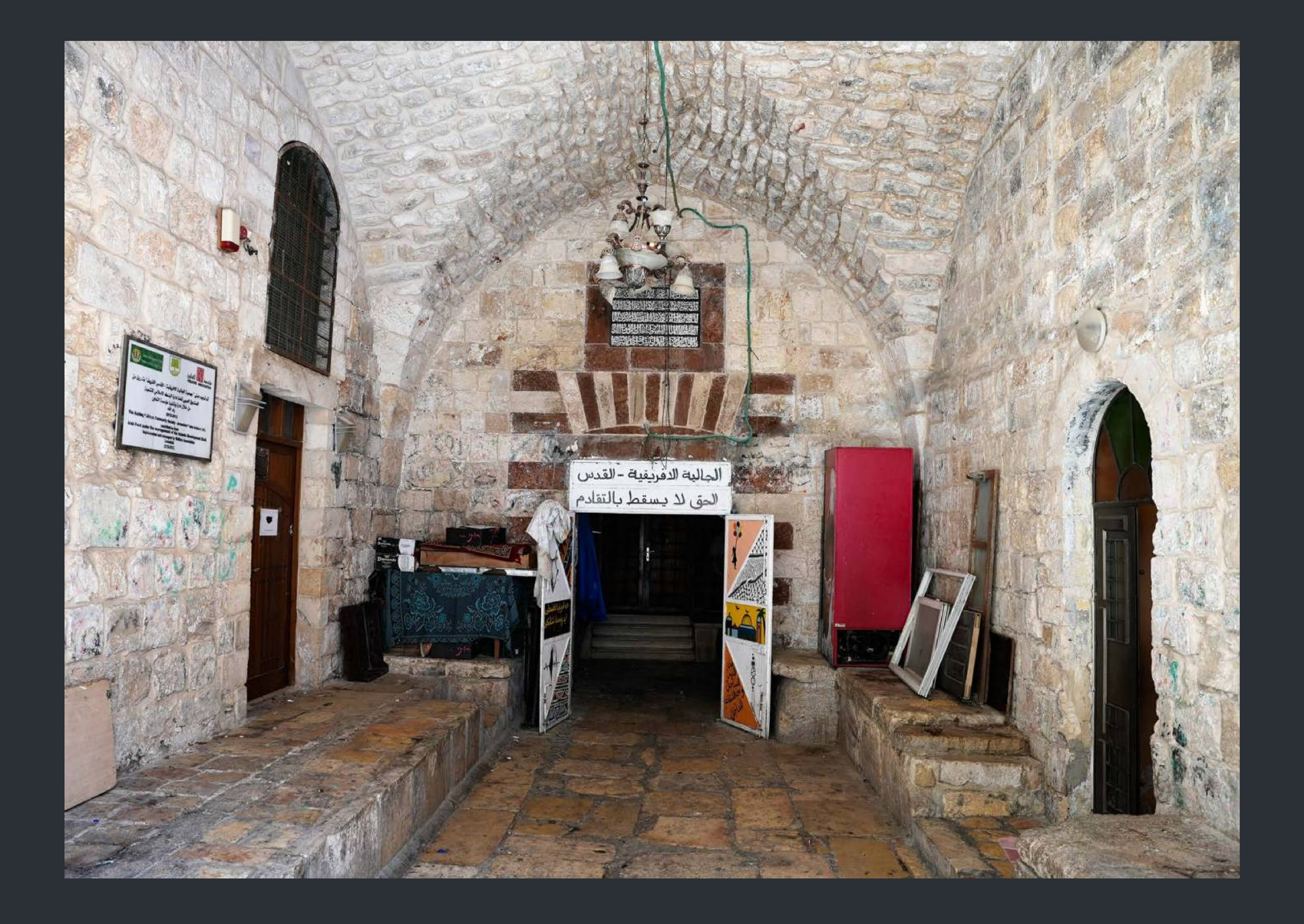
لعل هذا أشهر أديرة القدس على الإطلاق على بساطة بنيانه وتقشفه المعماري اللافت للنظر، فما بقي من مرافق هذا الدير عبارة عن مجموعة من الزخارف المعمارية تدلل على غناه المعماري السابق، أو على أن هذه من بقايا مجمع كنيسة القيامة، وعلى بقايا عقود وحنايا لمبانيه التي تهدَّم منها جزء كبير، وعلاوة عن بقايا من العناصر المعمارية والزخرفية، فما يمكن مشاهدته اليوم ينحصر في ساحة مكشوفة تتشكل من سطح كنيسة القديسة هيلانة وكنيسة إيجاد الصليب، تقوم إلى جنوبها مجموعة غرف بسيطة البناء، بعضها له سقف من حديد الزينكو، وبعضها يفتقر إلى الإضاءة المناسبة. وشهرة هذا الدير تقوم على الخلاف المرير على ملكيته ما بين طائفة الأقباط وطائفة الحبش، وما تفرع من هذا الخلاف ليشمل كنيسة الملاك ميخائيل، وكنيسة الكائنات الأربعة الروحية غير المتجسدة.



الأربطة

ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وفي قواميس اللغة المتخصصة معانٍ متعددة للفظة رَبط ورباط، التي تُجمَع على رُبط وأربطة ورابطات. والرباط كمبنى يشير إلى الحصن أو الثغر أو موقع للحدود يتمركز فيه مجموعة من المتفرغين للدفاع عنه. فبدايةً، كانت الربط عبارة عن موقع أو بناية عسكرية تقام على الحدود تحمل الصفة الدفاعية والتعبدية، ثم لاحقاً فقدت الأربطة صفتها الدفاعية والتعبدية وانتقلت من الحدود والثغور إلى داخل المدن، وأصبحت فقط مقرات للعبادة من قبل الصوفية والزهاد، ومن ثم أصبحت الربط والأربطة أماكن لإقامة الفقراء، والغرباء، والمجاورين، والزوار. وهذا النوع من العمارة اشتهر في مدينة القدس، وبخاصة لزوار المدينة باعتبارها مدينة دينية لها مكانة رفيعة في العقيدة الإسلامية. فأنشئت فيها الأربطة للزيارة والمجاورة والانقطاع للعبادة. ومن هذه الأربطة نذكر: رباط الأمير علاء الدين البصير 666هـ/1267م، رباط السلطان المنصور قلاوون 681هـ/1282-1283م، رباط كرد المنصوري 693هـ/1293-1294م، الرباط المارديني 763هـ/1361م، رباط الأمير محمد بن الزمن 881هـ/1477م، وهذه كلها من الفترة المملوكية، ومن الفترة العثمانية، يوجد رباط أسسه بايرام جاويش في سنة 947هـ/1540م. وكان في المجتمع الإسلامي رُبط خصصت للأرامل والعجائز والمطلقات والمهجورات من النساء، والرباط موضوع البحث هو أحد أربطة النساء في القدس، علاوة على رباط للأمير قلاوون الصالحي.



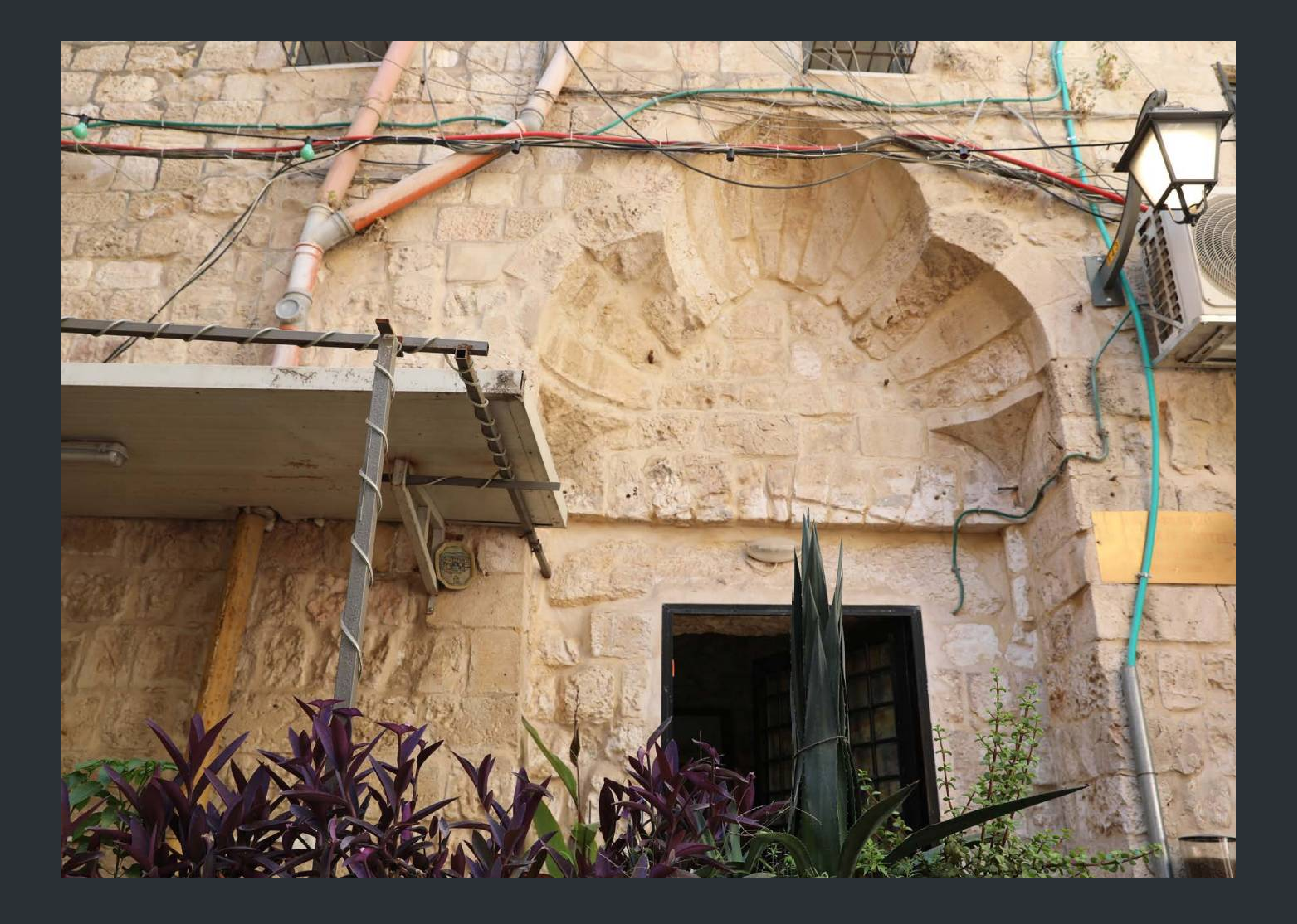


رباط السلطان المنصور قلاوون (الرباط المنصوري)

ويعرف باسم حبس الرباط، ومقر الجالية الأفريقية الفلسطينية، وينسب إلى مؤسسه السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي (678-689هـ/1279-1290م) الذي أسسه في سنة 681هـ/1282-1283م حسب النقش الذي يعلو مدخل الرباط. ويقع الرباط في الجهة الجنوبية من طريق باب الناظر مقابل رباط علاء الدين إيدغدي قبيل نهاية طريق باب الناظر.

رباط المنصور قلاوون من أشهر أربطة القدس، حيث يتمتع بموقع مرموق؛ إذ يبعد عن مدخل المسجد الأقصى المبارك (25) متراً، حيث أوقف عليه مزارع زيتون في غزة، وثُلث قرية طيبة الاسم، وثُمن قرية الجلمة، ودار محب الدين الدويك قرب المسجد الأقصى المبارك، وبيتين في منطقة سوق القطانين في القدس، وغيرها من الممتلكات.

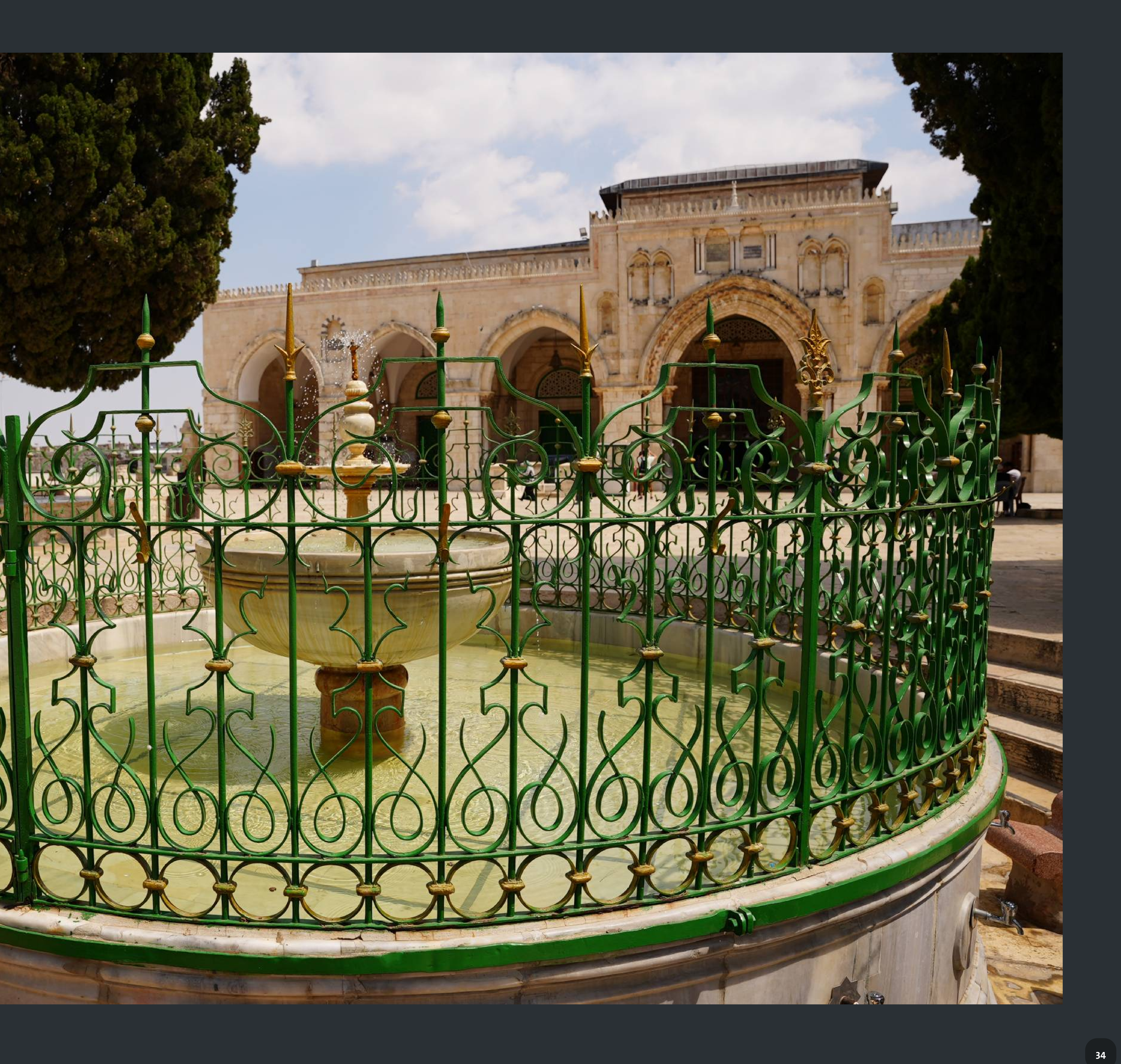
ويقيم في الرباط حالياً ثلة من الجالية الأفريقية الأصل الفلسطينية الهوية والانتماء.



رباط النساء

وأطلق عليه اسم رباط العجائز، وحمل اسم مؤسسه الأمير المملوكي سيف الدين تنكز أبو سعيد الناصري نائب السلطان في دمشق، وصاحب المشاريع المعمارية الرائدة في مدينة القدس، فعرف باسم رباط تنكز. ويقوم الرباط إلى الشمال من الساحة المكشوفة التي تتقدم باب السلسلة شمال المدرسة البلدية، ومقابل المدرسة التنكزية، مطلاً على المسجد الأقصى المبارك. بُنِيَ الرباط سنة 730هـ/1330م.

مع أن النسيج المعماري للرباط بسيط ومتقشف، وعلى صغر حجمه وبساطته المعمارية وخلوه من الزخارف والعناصر المعمارية، وعلى النقيض من منشآت الأمير تنكز الناصري المشهورة، التي منها المدرسة التنكزية التي تقوم مقابلة للرباط، فإن هذا المعلم له أهمية كبيرة من ناحية اجتماعية، كونه قد تم تخصيصه للنساء العجائز والمعوزات، ما ينم عن مسؤولية وانتباه لمعالجة بعض المشاكل الاجتماعية بطريقة تكفل الكرامة والاحترام لفئة مهمَّة في المجتمع، فهو من مؤسسات الرعاية الاجتماعية في العهد المملوكي التي خصصت للنساء.



الأسبلة

السبيل، لغةً، مفرد أسبلة وسبل، هو الطريق أو ما وضح منها، ويقصد من قول "في سبيل الله» الجهاد وطلب العلم، وكل ما أمر الله به من الخير. وسبّل الماء؛ أي جعله مباحاً ومتاحاً في سبيل الله، رغبةً في نيل رضى الله وثوابه. وأما معمارياً، فالسبيل وحدة معمارية صغيرة الحجم، وظيفتها توفير المياه النقية لأهل المنطقة وزوّارها وعابري الطريق للشرب مجاناً، رغبةً في عمل الخير لنيل الثواب. ومن أشهر أسبلة القدس ندرج: سقاية العادل، صهريج الملك المعظم عيسى، سبيل شعلان، سبيل الكاس، بئر إبراهيم الرومي، سبيل قايتباي، سبيل قاسم باشا، سبيل طريق الواد، سبيل باب السلسلة، سبيل باب الناظر، سبيل باب العتم، سبيل باب ستي مريم، سبيل باب المغاربة، سبيل الشوربجي، سبيل الخالدي، سبيل الحسيني، سبيل مصطفى آغا. ولإعطاء فكرة شاملة عن طرز الأسبلة، تم انتقاء ثلاثة أسبلة ذات طرز مختلفة، ومن ثلاث فترات زمنية متنوعة، الأول سبيل الكاس لفرادته ومكانته في عمارة المسجد الأقصى المبارك، والثاني أجمل أسبلة القدس وآخر الأسبلة المملوكية وهو سبيل قايتباي، والثالث هو سبيل طريق الواد أحد أسبلة السلطان سليمان القانوني، وهو سبيل حائطي أدخل في عمارة القدس من قبل الإدارة العثمانية.

سبيل الكاس

عرف بهذا الاسم لأنه حوض كبير مفتوح يشبه الكأس، وأيضاً بمتوضأ الكاس؛ كونه مكان وضوء لرواد المسجد الأقصى المبارك، حيث يقع السبيل في موقع مركزي في منتصف المساحة الواقعة ما بين قبة الصخرة المشرّفة عند درجات البائكة الجنوبية الغربية والفضاء الواقع شمال مبنى الجامع الأقصى.

وشاع حديثاً بين العديد من المهتمين أن السبيل أنشأه السلطان العادل أبو بكر ابن أيوب في سنة 589هـ/1193م، لكن ناقش إيهاب الجلاد ذلك بوجاهة، وانتهى إلى أنه من عمل الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب السلطان في الشام سنة 728هـ/1327م. ورممه كل من السلطان قايتباي، واعتبره جلبي أنه من أعمال السلطان سليمان القانوني.

السبيل، رغم بساطته، هو جميل ينخفض عن أرضية المسجد الأقصى المبارك، وتخطيطه مكوّن من حوض ماء كبير دائري مكشوف ملبس بالرخام من الخارج، في وسطه نافورة مياه، وتوجد حول بدن الحوض مقاعد حجرية. ولهذا السبيل تخطيط فريد، لا نجد له صدى في أيٍّ من أسبلة القدس. وهو من معالم المسجد الأقصى المبارك المشهورة، وكان يتغذى بالمياه من قناة السبيل عبر أنابيب فخارية قبل أن يتم توصيله بمواسير المياه الحديثة.

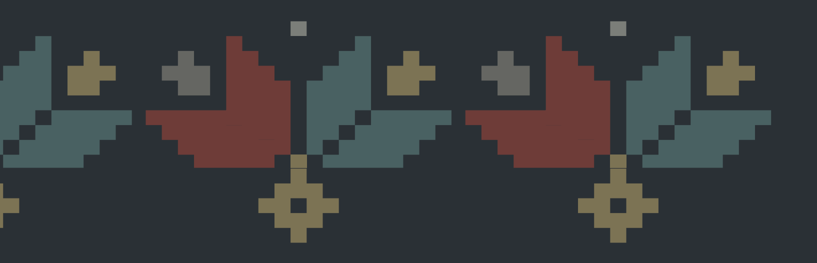


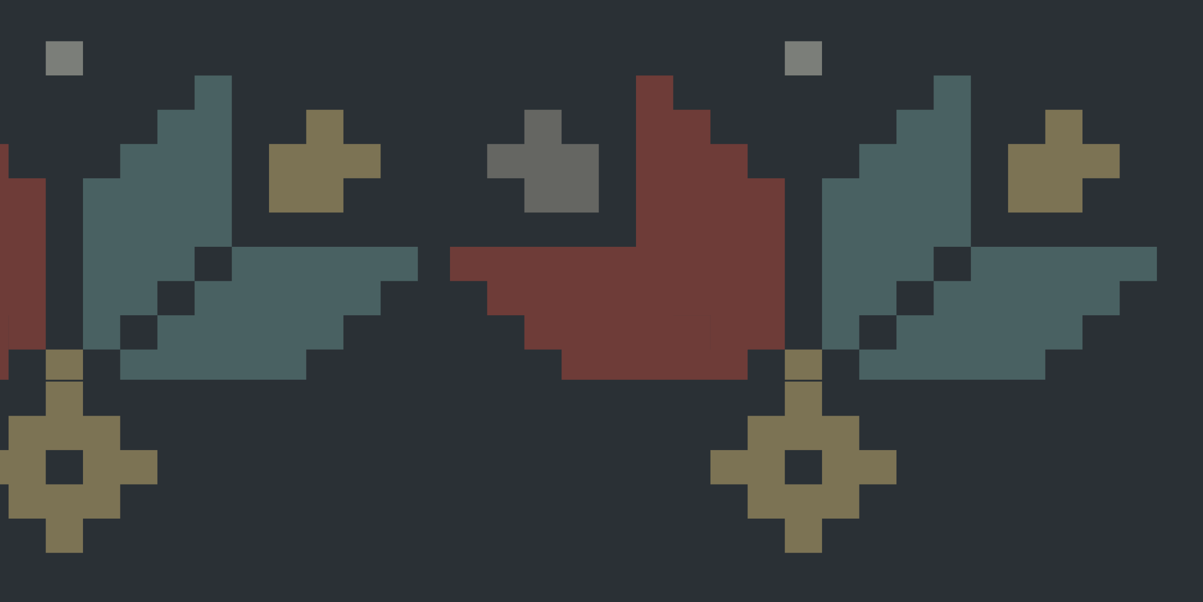
سبيل قايتباي

يوجد السبيل في القسم الغربي من المسجد الأقصى المبارك إلى الشمال الشرقي من المدرسة الأشرفية مقابل باب المتوضأ.

وقلة من الباحثين تعرف هذا السبيل باسم سبيل السلطان إينال، لأن أصل السبيل كان فسقية أمر بعملها السلطان الملك الأشرف إينال في العام (857-865هـ/1453 - 1460، 1461م)، لكن الغالب على النسبة اسم المؤسس السلطان قايتباي، مع أن السبيل رمم جذرياً من قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في العام 1300هـ/1883م. لكن استناداً إلى نقش كتابي يدور حول القسم العلوي من الجدران الأربعة لبدن السبيل، فإن السبيل تمت إعادة بناء شاملة له من السلطان قايتباي في 887هـ/1482م، أثناء وجود فريق معماري أرسل من مصر لإنشاء المدرسة الأشرفية السلطانية.

لا بد من التأكيد على أن سبيل قايتباي بلا منازع هو أشهر وأجمل سبل المسجد الأقصى المبارك ومدينة القدس، وهو يمثل ذروة تطور العمارة المملوكية، المتأخرة بصورة عامة والعمارة القاهرية بصورة خاصة. ويتكون السبيل من غرفة تسبيل لها أربع واجهات جميلة باذلة الزخرفة، وله تخطيط مربع يقوم فوق فوهة صهريج (باب وارن، باب سبيل قايتباي). والواقع أن زخارف قبة هذا السبيل المكونة من الأرابسك المدقوق على الأحجار هي النموذج الوحيد خارج مدينة القاهرة، ومرد ذلك أن فريق البناء الفني أرسل من قبل السلطان من القاهرة، ليبني المدرسة والسبيل على مستوى فني يليق بالسلطان قايتباي الذي عرف عنه ولعه الشديد بالعمارة والعمائر، لدرجة أنه نسب له ما يقرب من 330 مبنى خلال فترة حكمة التي لم تتجاوز الثلاثين عاماً.



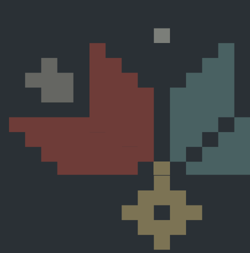


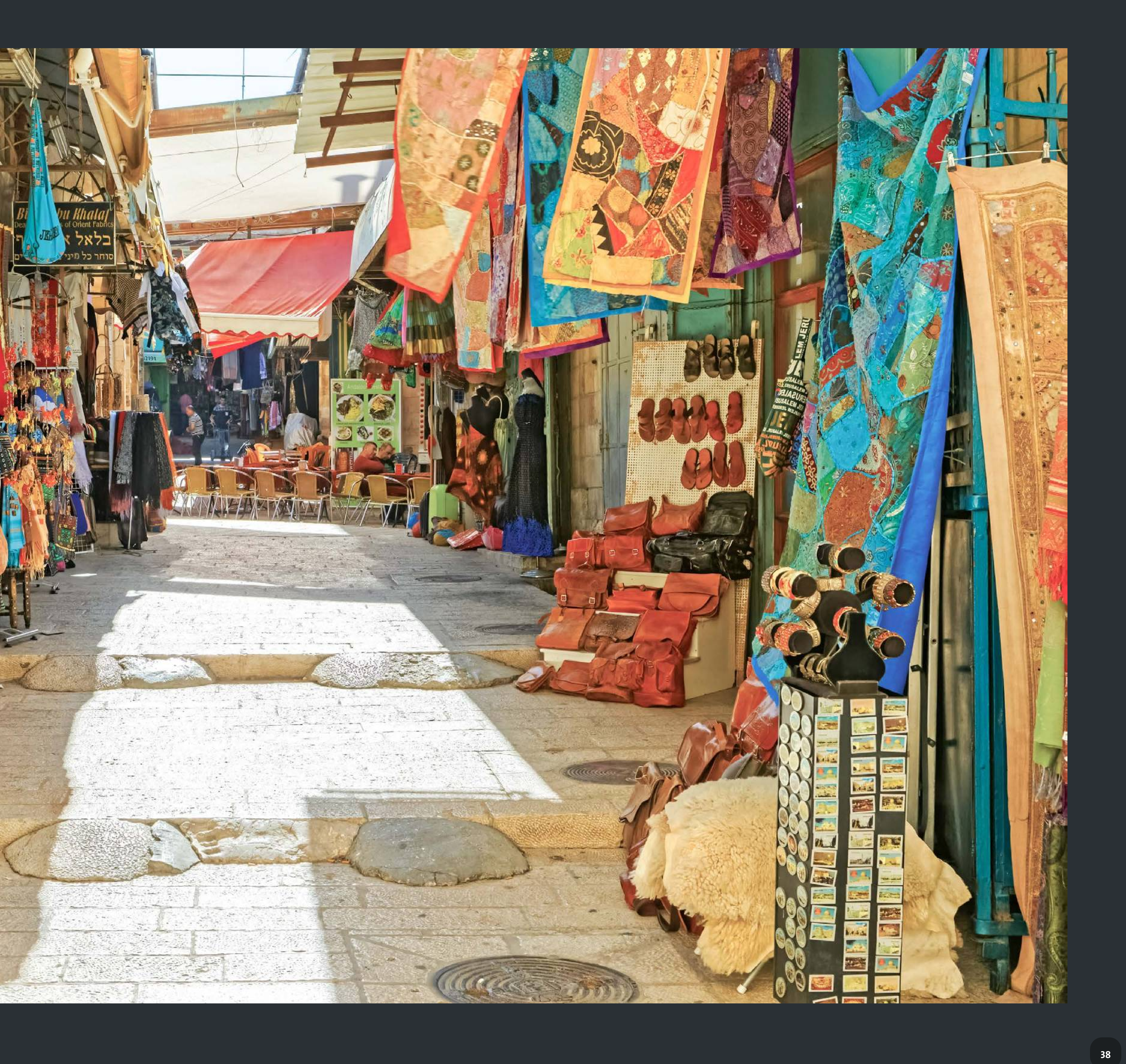
سبيل طريق الواد

كُنّيَ السبيل ونسب إلى السلطان سليمان القانوني، وأنه سبيل محلة باب القطانين، وينتصب السبيل في الجهة الشرقية من طريق الواد مباشرة جنوب حمام العين ومدخل سوق القطانين الغربي.

وهذا السبيل هو أحد ستة أسبلة لا تزال قائمة من أصل تسعة أمر ببنائها السلطان سليمان القانوني، وأشرف على تأسيسها الإداري محمد جلبي النقاش، وتم الانتهاء من إقامة السبيل في 943هـ/1536م حسب ما ورد في النقش التذكاري التأسيسي.

وللسبيل أهمية اجتماعية ودينية؛ فقد كان يوفر المياه المجانية للسكان، وتميز المبنى بطراز فريد في عمارة أسبلة القدس، مثله في ذلك مثل بقية أسبلة السلطان سليمان الستة. وموقع السبيل حساس؛ فهو قبيل الدخول إلى المسجد الأقصى المبارك من باب سوق القطانين، وكان يتغذى من المياه الواردة من بيت لحم عبر قناة السبيل بعد أن تتفرع من طريق باب السلسلة عبر طريق درج العين.




Khalaf
of Orient Fabrics
בלאל
סוחר כל מיני

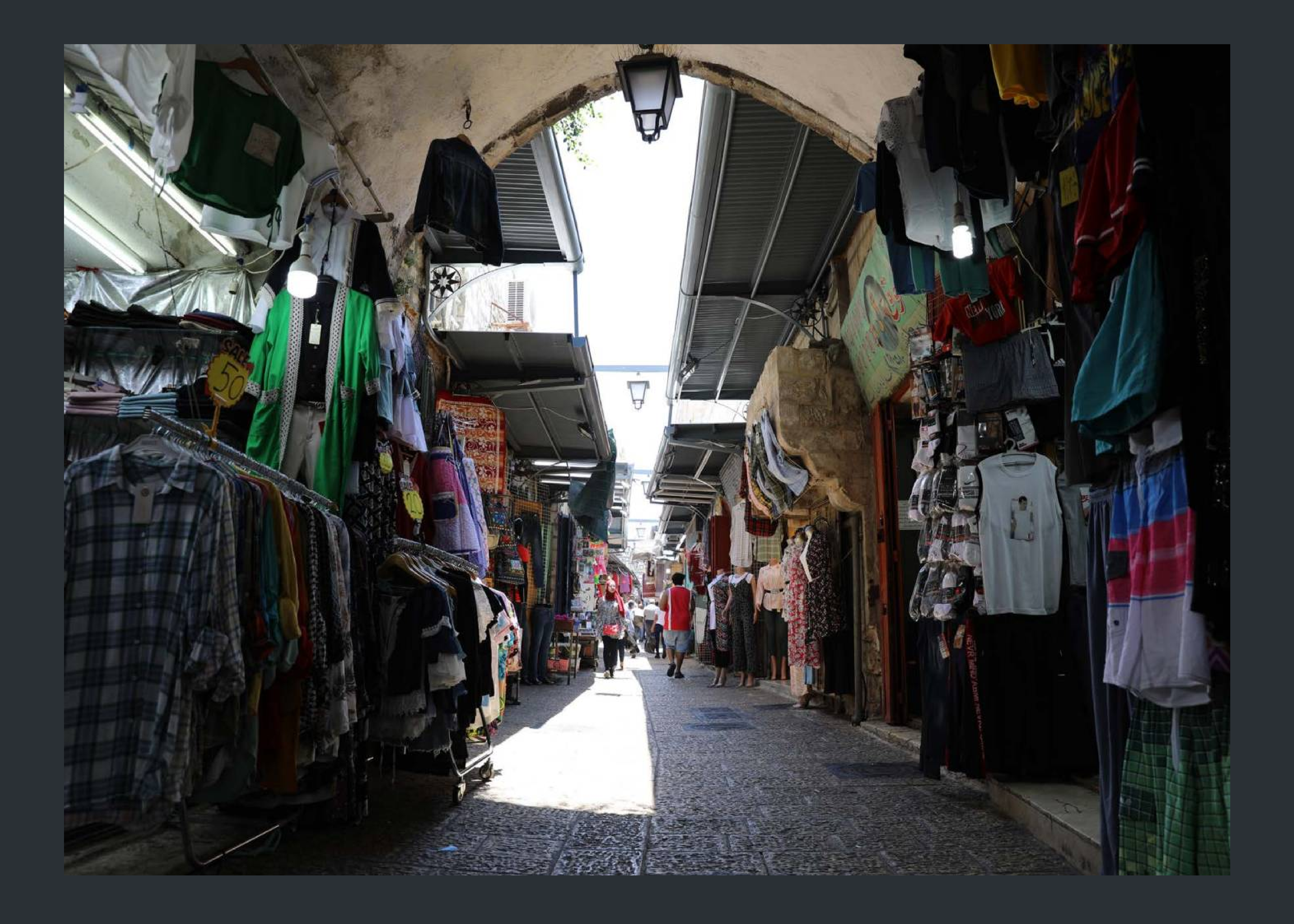


الأسواق

السوق ببساطة الموضع الذي يُجلَب إليه كل ما يُنتَفَع به من الأغراض كالطعام والسلع والأثاث للبيع والشراء والتبادل، أي مكان عام يجمع ما بين البائعين والمشترين، وهو على أنواع عدة وحسب الحرف، فهناك السوق المالية، والسوق الحرة، والسوق السوداء، والسوق الخيرية، والسوق الموسمية. ومعمارياً السوق قد يكون مسقوفاً، وقد يكون مكشوفاً، وقد يضم ساحة، أو يكون عبارة عن مجموعة من الحوانيت على جانبي ممر أو طريق، مبلطة الأرضية لها سقف تعلوه أقبية متقاطعة تستند إلى عقود مدببة.

ووردت إشارة مبكرة لأسواق القدس في بداية العهد الإسلامي، بما يفيد أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما فتح القدس، نَظَّمَ أسواقها، وسُمِّيَت أغلب أسواق القدس بأسماء البضائع التي كانت تبيعها أو التي كانت تصنعها كسوق البزازين (الحرير) وسوق التجار، وسوق الحريرية، وسوق الخضر، وسوق الزيت، وسوق الصاغة، وسوق الطباخين، وسوق الفخر (الذي اختص بصناعة الصابون)، وسوق القشاش، وسوق خان الفحم، وسوق القطانين، وسوق القماش، وسوق المبيضين، وسوق المعرفة، والسوق الكبير أي الأسواق الثلاثة والمقصود بها سوق العطارين، وسوق اللحامين، وسوق الخواجات (الأقمشة والثياب)، وسوق العطور، وسوق الدخانية وسوق الخزف. وإضافة إلى ذلك، فقد ذكر بعض السويقات كسويقة باب حطة، وسويقة باب القطانين، وسويقة علون، قرب باب الخليل، وسوق البازار، وسوق النحاسين، وسوق الباشورة، وسوق باب السلسلة، وسوق باب حطة، وسوق الباب الجديد، وسوق أفتيموس، وسوق حارة النصارى، وسوق باب الخليل.

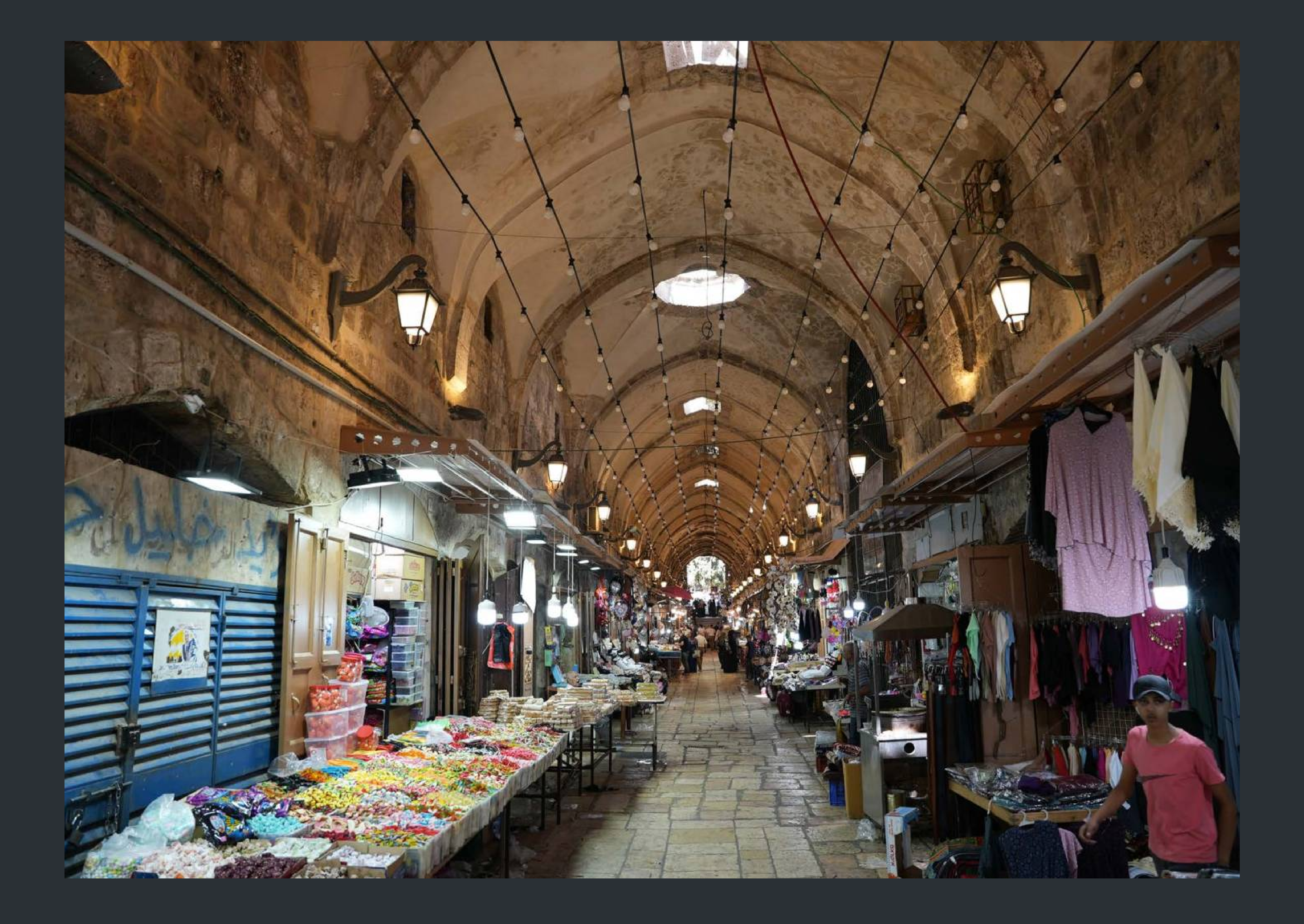
وتاريخ هذه الأسواق يعود إلى فترات تاريخية عدة، بعضها أساسه من العهد الروماني، وبعضه من فترة الفرنجة، لكن أوضح وأعم الفترات الزمنية هي الأيوبية والمملوكية والعثمانية. ومع أن مجموعة من هذه الأسواق قد اختفت نتيجة لتطور الحياة، فإن مجموعة كبيرة منها لا تزال مزدهرة، لكن تغيرت السلع التي تباع فيها، استجابة لإيقاع الحداثة والتطور. وتم اصطفاء ثلاثة أسواق لتتمثل في معالم القدس، وهي سوق خان الزيت وهو قديم يعود في بدايته إلى الفترة الرومانية، حيث شكل الطريق الرئيس؛ وسوق القطانين وهو من أبدع الأسواق ليس في فلسطين فحسب، بل في كل الشام، وسوق حديث نسبياً وهو سوق أفتيموس الذي يعود إلى أوائل القرن الماضي وتختلط فيه العناصر الكلاسيكية المعمارية مع عناصر من مدرسة العمارة العربية الإسلامية.



سوق خان الزيت

يقع سوق خان الزيت في الطريق الممتد من مفرق الطرق الذي يقع على بعد أمتار عدة جنوب باب العامود، ويصل حتى باب النبي داوود في جنوب المدينة، فهو يقطع المدينة من شمالها إلى جنوبها، وكانت هذه الطريق "الشارع" في العصر الروماني والبيزنطي يعرف باسم الكاردو. والمعروف أن الكاردو الروماني الذي أعاد تجديده هادريان في العام 123م، كان يمتد إلى نهاية سوق العطارين اليوم، ولكن حينما بنى جستنيان كنيسة النيا "الكنيسة الجديدة»، في أواخر القرن الخامس الميلادي، فقد مد الكاردو حتى وصل إلى النهاية الجنوبية للبلدة القديمة للقدس، حيث باب النبي داوود اليوم.

وهذه الطريق (الكاردو) مقسمة إلى أقسام عدة، كل قسم له اسم وكان له اختصاص. فالقسم الأول منه يعرف بسوق خان الزيت، وهو يمتد من مفرق باب العامود حتى أول سوق العطارين، وحتى مطلع القرن الماضي، كان سوق خان الزيت يمتاز بكثرة معاصر السيرج والسمسم والطحينية، والمصابن التي تصنع الصابون من زيت الزيتون، وكل معصرة كان فيها مخزن كبير لزيت الزيتون، ومنها جاءت التسمية على الأغلب. وسوق خان الزيت مع السوق الذي يليه وهو سوق العطارين يعتبران من أهم مرافق المدينة، وحوانيت سوق خان الزيت تعرض بضائع أغلبها مواد استهلاكية حديثة، لكنها تعرض تنوعاً غنياً، فيه استجابة لحاجات السكان والزوار، من مطاعم شعبية، ومحلات حلويات ونقل، وبسطات الفلافل ومحلات اللحوم والخضار والعاديات السياحية، وعليه فإن هذا السوق قد فَقَدَ تخصصه التقليدي في صناعة الصابون والمعاصر تحت ضغط الحياة وتطورها. والجدير بالذكر أن معظم حوانيت هذا السوق وقف إسلامي، يتبع في إدارته لدائرة الأوقاف الإسلامية.



سوق القطانين

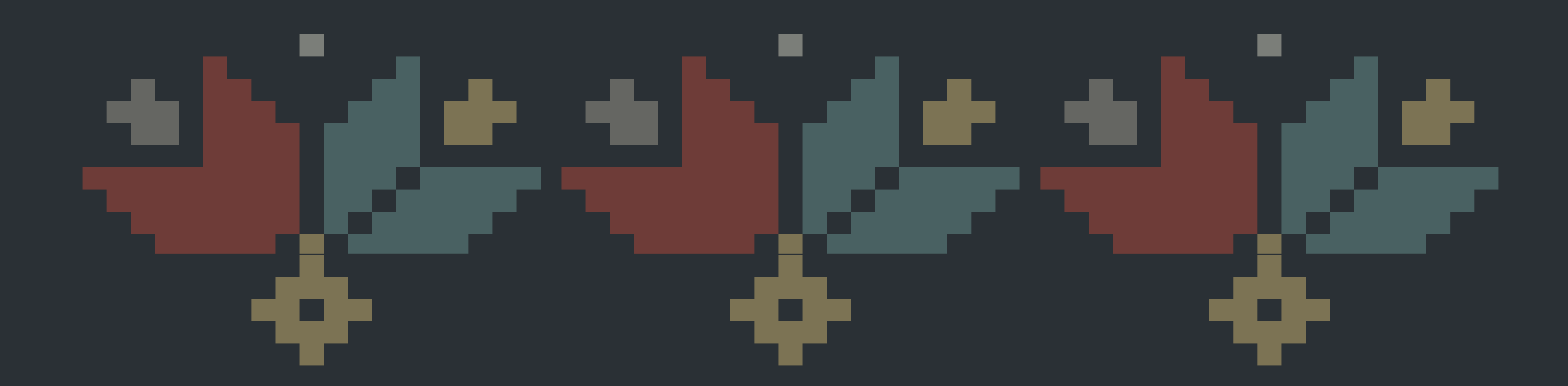
من أشهر أسواق القدس المملوكية سوق القطانين الذي يجاور باب المسجد الأقصى المبارك من جهة الغرب، وهذا السوق في الواقع يشكل همزة وصل أساسية بين المسجد الأقصى المبارك وطريق الواد (الكاردو السفلي). وهذه التسمية، أي سوق القطانين، غير أصلية، إنما ترجع في أصولها إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حيث اشتهر وتخصص هذا السوق ببيع القطن ومشتقاته. وأحياناً يطلق العامة على هذا السوق اسم السوق العتم نظراً للظلام الناتج عن فرق الإضاءة بينه وبين أجزاء المسجد الأقصى المبارك المكشوفة. والأجدر أن يسمى السوق على اسم مؤسسه، الأمير تنكز الناصري، نائب الشام المتنفذ في سنة 737هـ/1336-1337م.

ويحوي هذا السوق خاناً وحمامين، ويمتد من الشرق إلى الغرب حوالي 95م، يكتنفه على الجانبين الجنوبي والشمالي صفان من الحوانيت يحوي كل صف ثلاثين حانوتاً في الطابق الأول، وأما المستوى الثاني، فيضم أيضاً حوالي 60 غرفة وخلوة لإقامة الزوار والسكان. والخان حالياً يضم مكاتب لدائرة الأوقاف الإسلامية ولجامعة القدس.

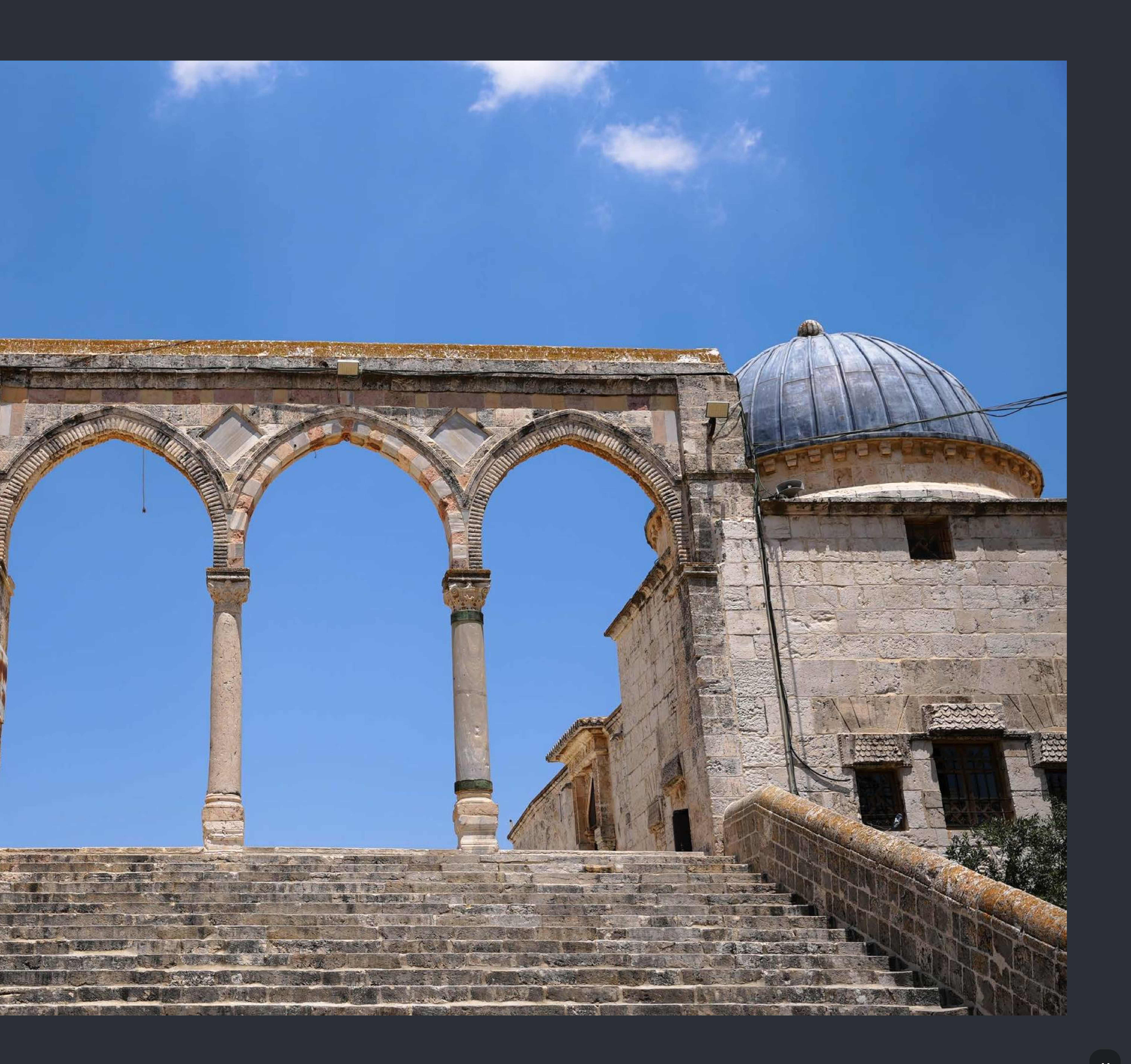
ويعتبر هذا السوق من أكمل وأجمل الأسواق في فلسطين، بل إن كريزول (Creswell)، عالم العمارة الإسلامية، عَدَّه من أروع الأسواق في الشام. ومجير الدين الحنبلي، مؤرخ القدس والخليل، مدحه قائلاً في أوائل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي: " ... وأما ما في القدس الشريف من الأماكن المحكمة البناء، فمن ذلك سوق القطانين المجاور لباب المسجد من جهة الغرب، وهو سوق في غاية الارتفاع والإتقان، لم يوجد مثله في كثير من البلاد».

سوق أفتيموس

من أحدث أسواق القدس التاريخية، وسُمّيَ بذلك على اسم الأرشمندريت اليوناني أفتيموس الذي بنى هذا السوق في أوائل القرن العشرين في العام 1902م. ويقع السوق إلى الغرب من كنيسة المخلّص الألمانية، وإلى الجنوب الشرقي من كنيسة القيامة. ويمتاز هذا السوق بعمارته الغربية التي تستلهم مميزات وصفات العمارة الكلاسيكية، حيث إن مدخله الشمالي عبارة عن قوس نصر مكون من ثلاثة عقود كبيرة بُنيت بأسلوب الأبلق (تناوب درجات الألوان الأحمر الكرميدي مع الأبيض) متأثراً بعمارة القدس الإسلامية، وفي وسط السوق نافورة مياه كبيرة وجميلة في تصميمها صدى للنوافير الكلاسيكية من حيث وجود الأشكال الآدمية والحيوانية من مخارج مياهها، ودكاكين السوق على جانبيه وحول النافورة. وكانت تقوم قرب هذا السوق صناعة تقليدية مهمة هي دبغ الجلود، لذا فقد عرقت المنطقة المجاورة له باسم الدباغة فيما مضى، لكن توقف العمل بها في الأغلب في أواخر القرن التاسع عشر، وبخاصة حينما قدمت قطعة الأرض التي تقوم عليها كنيسة المخلّص الألمانية هدية من السلطان العثماني إلى الإمبراطور وليم الثاني حينما زار القدس في أواخر القرن التاسع عشر. ونشاط السوق اليوم يتركز على بيع الحقائب والمنتجات الجلدية للمزار والسواح مع مجموعة من محلات العاديات والمطاعم والمقاهي التي تقدم الأصناف الغربية والمحلية من المشروبات والمأكولات. لكن تجربة المرور، بل الجلوس في السوق، لا تقاوم، وتدخل البهجة إلى النفس، وتجعل المتأمل ينطلق في رحلة في تاريخ المدينة ويركز على جوانبها الروحية مستلهماً وجوده قرب مجموعة من الكنائس التي تحتضن مسجد عمر بن الخطاب، وتذكّر بفتح القدس سلماً على يديه، ورفضه، بأدب، الصلاة في كنيسة القيامة، حرصاً عليها من أي نزاع مستقبلي.




DABBAGHA BAZAAR A. MUSA BARAKAT
FINE EXCLUSIVE JEWELLERY
YASER T. BARAKAT
MOBILE
050/419987
TEL
02/6286069



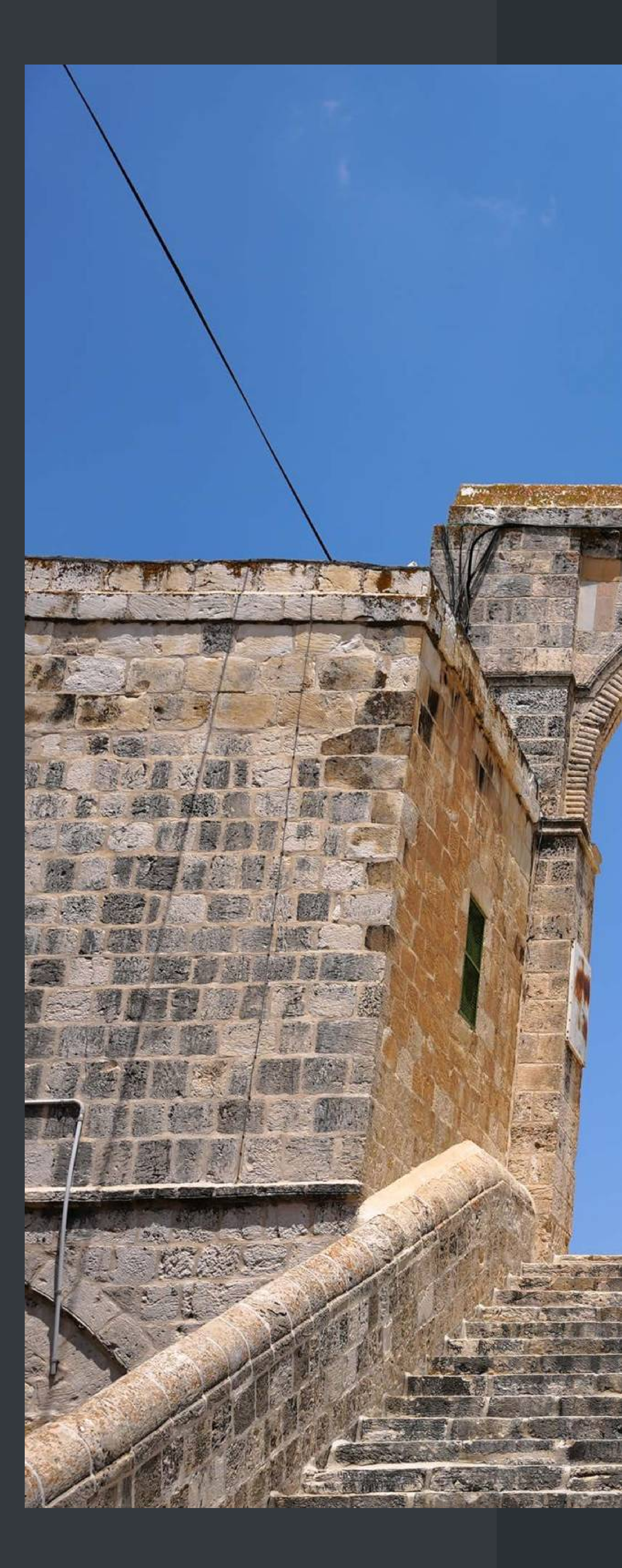
البوائك

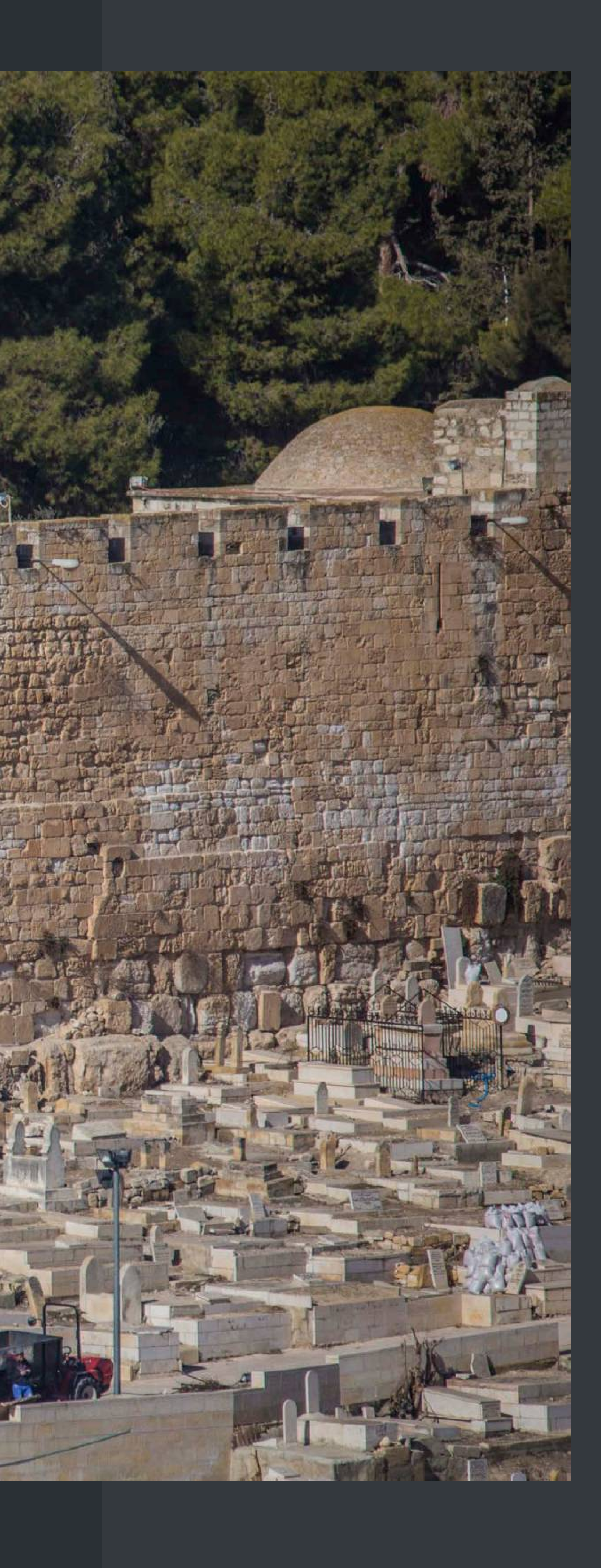
مفردها بائكة، ويرادفها ويؤدي معناها ألفاظ عدة مثل مرقاة، وميزان، وقنطرة، وهي من نوادر عمارة المسجد الأقصى المبارك، وإحدى مميزات سطح قبة الصخرة المشرّفة. ومعمارياً، هي سلسلة من العقود القائمة على دعامات وأعمدة. ووظيفة هذه البوائك جمالية في الدرجة الأولى، وهي أيضاً تخدم كمنطقة انتقالية في المسجد الأقصى المبارك ما بين مستوى الجامع الأقصى وقبة الصخرة المشرّفة، وهي قد تظهر وكأنها قوس نصر معدل. وفي عمارة القدس ثماني بوائك، هي: البائكة الغربية، البائكة الشمالية الغربية، البائكة الجنوبية الشرقية، البائكة الجنوبية، البائكة الشرقية، البائكة الشمالية، البائكة الشمالية الشرقية، البائكة الجنوبية الغربية. وتم اختيار البائكة الجنوبية الغربية لتعطي فكرة عن بقية بوائك المسجد الأقصى المبارك المحيطة بصحن سطح قبة الصخرة المشرّفة، لما لهذه البائكة من مكانة في التقاط الصور التذكارية لمعظم زوار المسجد الأقصى المبارك، حيث تحقق لقطة ساحرة بظهور قبة الصخرة المشرّفة في خلفية الصورة.

البائكة الغربية الجنوبية

اشتهرت هذه البائكة باسم مقام النبي، وهي تنتصب بشموخ على الحد الجنوبي لسطح قبة الصخرة المشرّفة، على محور مدخل الجامع الأقصى والمدخل الجنوبي لقبة الصخرة المشرّفة محاذية لمنبر الصيف من الجهة الغربية، وتشكل أحد المراقي ما بين الجامع الأقصى وقبة الصخرة المشرّفة.

وهذه البائكة غير مؤرّخة، لكن ذكرها المؤرخ ابن الفقيه، والمقدسي من بعده، وناصر خسرو، فهذا يعني أنها كانت قائمة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولا شك أنه تم ترميمها أكثر من مرة، منها ما تم في سنة 1310هـ/1893م، زمن السلطان عبد الحميد، وما تم سنة 1345هـ/ 1927م. ومثل بقية بوائك سطح قبة الصخرة المشرّفة، تتكون هذه البائكة من سلسلة من العقود عددها هنا أربعة، والعقود تستند بدورها إلى أعمدة في الوسط ودعامات في طرفي البائكة. وتتميز هذه القنطرة عن غيرها كون واجهتها الجنوبية فيها مزولة توقيت من عمل المهندس رشدي الإمام في العام 1927م، وبأنها أضحت مكاناً مرغوباً ومفضلاً لأخذ الصور التذكارية، حيث تتخذ قبة الصخرة المشرّفة خلفية لهذه الصور.

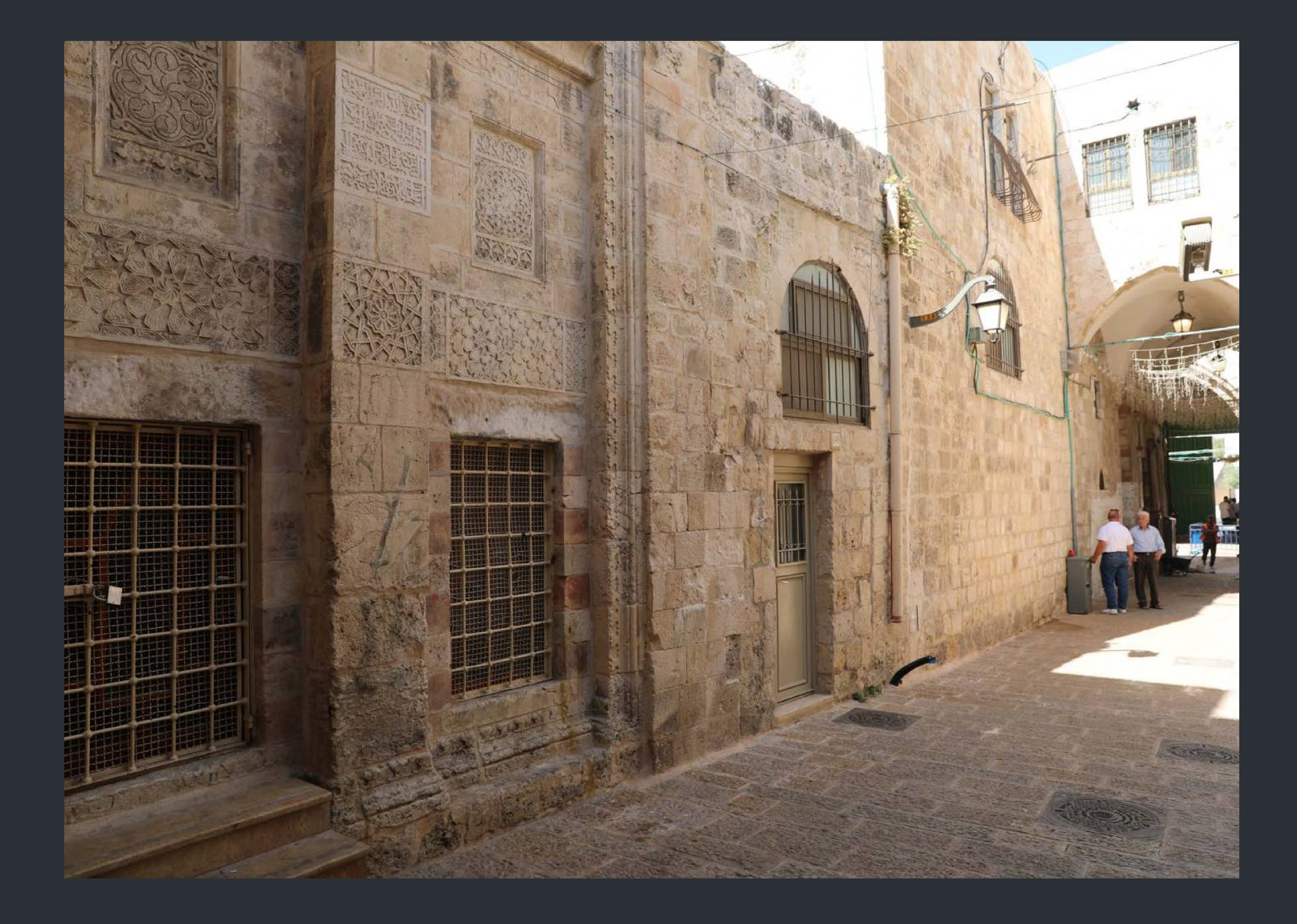




أماكن الدفن والبعث

القدس في مفهوم وعرف الديانات السماوية الثلاث، أو حسب التقليد السياسي التطوعي الحديث، هي أرض مقدسة مباركة، وهي أرض المحشر والمنشر، لذا فقد تطورت سيناريوهات كثيرة عن يوم القيامة ويوم البعث، عند معتقدي ومنظري ومفكري هذه العقائد. وتحقيقاً لعدة رغبات لمعتقدي الديانات الثلاث، أضحت القدس مكاناً مرغوباً فيه للدفن، فانتشرت فيها المقابر الجماعية حول المدينة المقدسة، وبخاصة في الجهة الشرقية عند السفح الغربي لجبل الزيتون، وواد قدرون، حيث تشاهد مقابر تاريخية قديمة لليهود والمسيحيين والمسلمين، وفي السفح الغربي، أيضاً، لجبل النبي داوود (جبل صهيون). وفي داخل أسوارها، أسست العديد من الأضرحة والتُرب والمقابر والمقامات التذكارية ذات المباني المعمارية التي تعود إلى فترات زمنية عدة مختلفة وممتدة. ونماذج مختصرة عن عمارة ومعالم الترب والأضرحة التي اشتهرت في الفترة الإسلامية، يحسن ذكر ما يلي على سبيل التمثيل: قبرا عبادة بن الصامت وشداد بن أوس، تربة أمراء الدولة الإخشيدية، تربة حسام الدين بركة خان، التربة الأوحدية، التربة الجالقية، التربة السعدية، تربة تركان خاتون، التربة الكيلانية، تربة السيوفي، تربة الست طنشق المظفرية، التربة الصفدية. ووجد من اللائق اجتباء تربة تركان خاتون كممثلة للترب النسوية، والتربة الكيلانية كمثال لمكان دفن فيه ثلاث قباب، ولإيمان شديد بمكانة القدس اقتضى ترحيل الجثة من مسافة تقرب من ألفي كيلومتر.

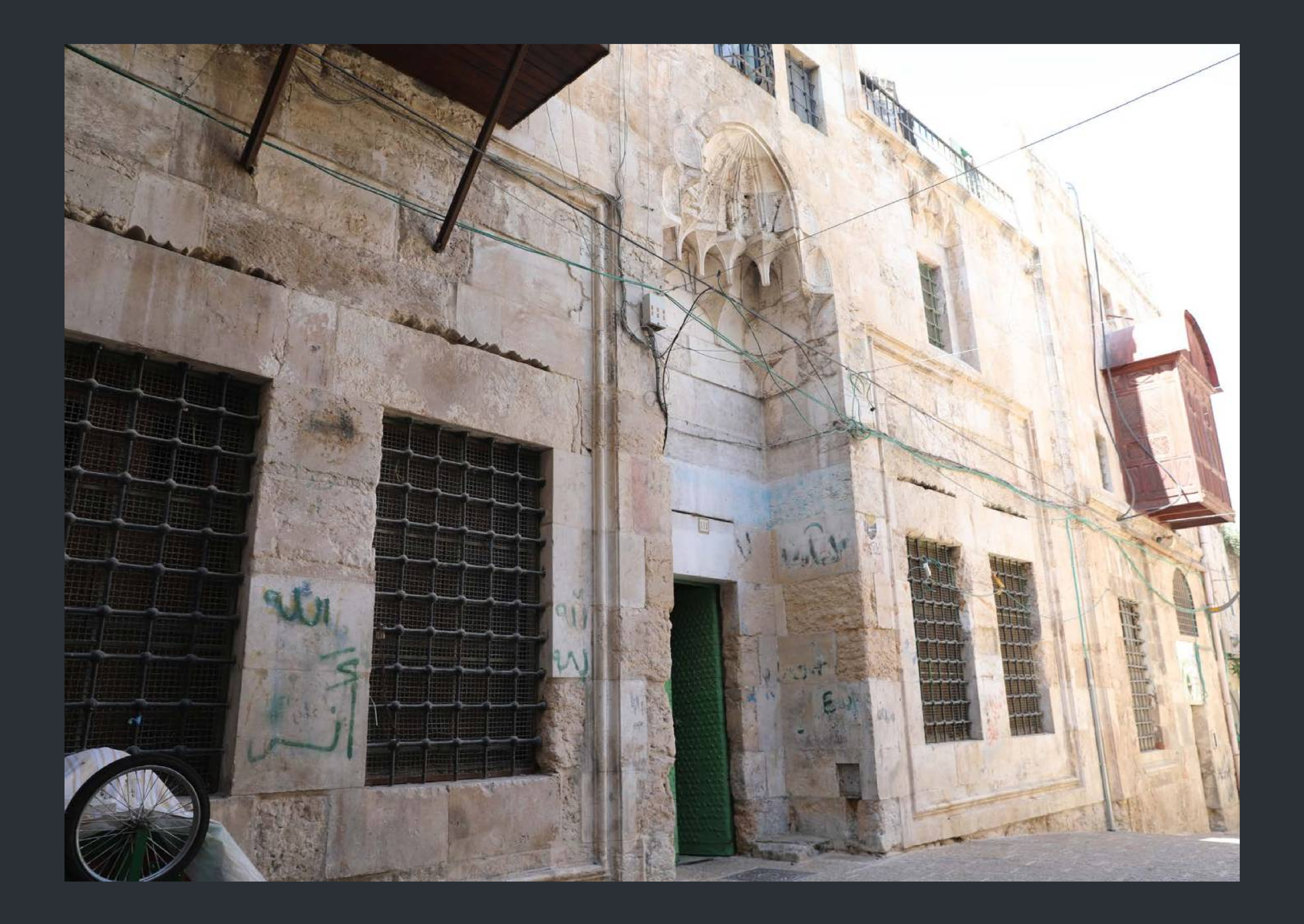




تربة تركان خاتون

تقع تربة السيدة الجليلة تركان في القسم الشمالي من طريق باب السلسلة إلى الغرب من التربة السعدية، وقبيل القنطرة التي تقوم قبيل طريق درج العين. واعتماداً على اللوحة الكتابية، فان التربة قد بنيت في سنة 753هـ/1353م للسيدة الأوزبكية تركان خاتون بنت الأمير الاستقطاي الأوزبكي.

تنسب هذه التربة إلى بنت أحد الأمراء من الأوزبك، التي عرفت دولتهم باسم خانات القرن الذهبي، والتي اختارت أن تدفن في مدينة القدس بعيدة عن وطنها الأم بمسافة 4 آلاف كيلومتر. للتربة واجهة تلفت النظر بدقة زخارف اللوحات والحشوات المشكلة من زخارف هندسية ونباتية، وتخطيط التربة لا يتناسب مع الغنى الزخرفي، لكن يبدو أن رغبة حيازة مكان قريب من المسجد الأقصى المبارك أدّى إلى التضحية ببعض من التخطيط المعماري المنشود. وتكمن أهمية التربة من كونها أحد أماكن الدفن التي ارتبطت بمكانة القدس، وغنى النسيج المعماري بالزخارف، ما يعكس الحالة الاجتماعية والمادية للمتوفية.



التربة الكيلانية

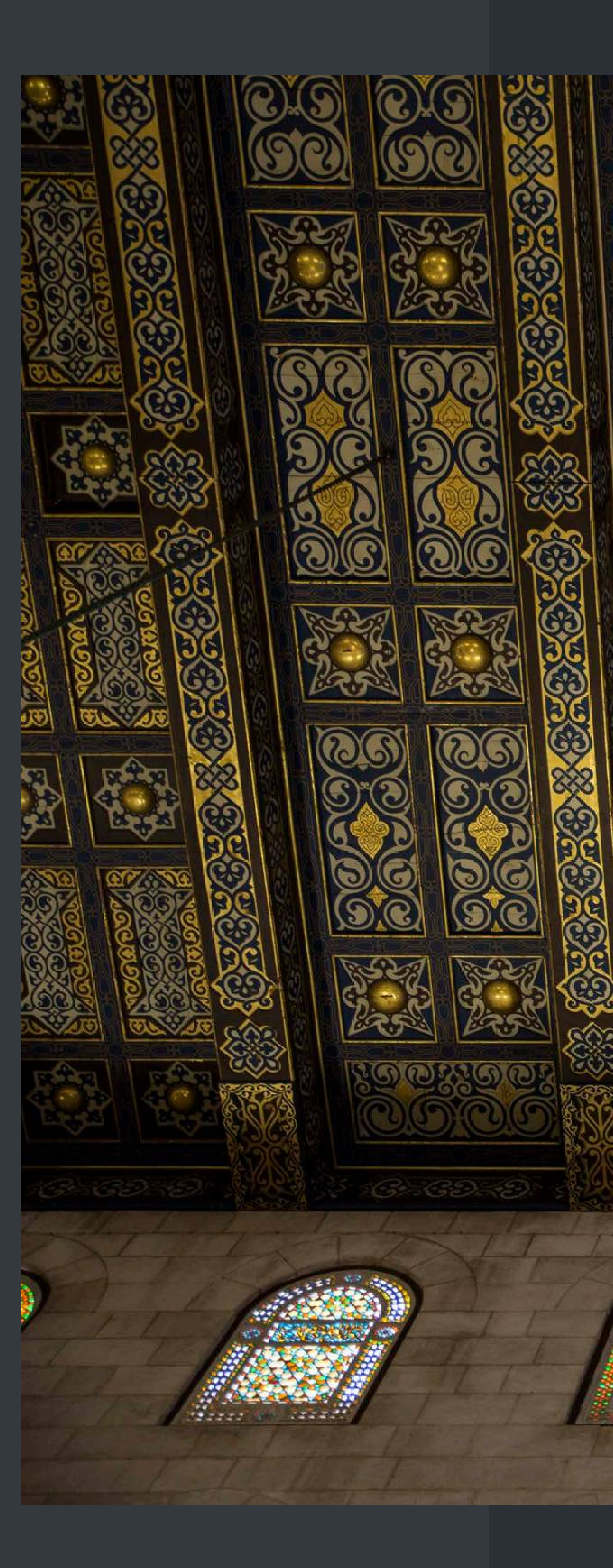
تعرف التربة كغيرها من معالم القدس التاريخية باسم قاطنيها من عائلات القدس، وعليه فهي تعرف بدار دعنا، وتقوم في منتصف القسم الشمالي من طريق باب السلسلة مقابل تربة حسام الدين بركة خان، حيث عطفة تؤدي إلى زاوية المغاربة وساحة البراق الشريف، وإلى الغرب من المدرسة الطازية، مرشدنا الذي لا غنى عنه في تأريخ هذه التربة هو مجير الدين الحنبلي، مؤرخ القدس والخليل، حيث أفاد بأن التربة أسست بناء على رغبة الأمير الحاج جمال الدين بهلوان الكيلاني، الذي أوصى ابن أخيه علاء الدين بذلك، حتى يتم أولاً نقله من لاهجان على بحر قزوين في إيران، وثانياً ليدفن في القدس. وللمرء أن يتخيل تعقيدات نقل الجثة لمسافة تزيد على 2000 كم في ذلك الزمن، لكن حب القدس ومكانتها لم تحل دون ذلك لهذا الأمير ولا لغيره ممن اختاروا القدس مدفناً لهم.

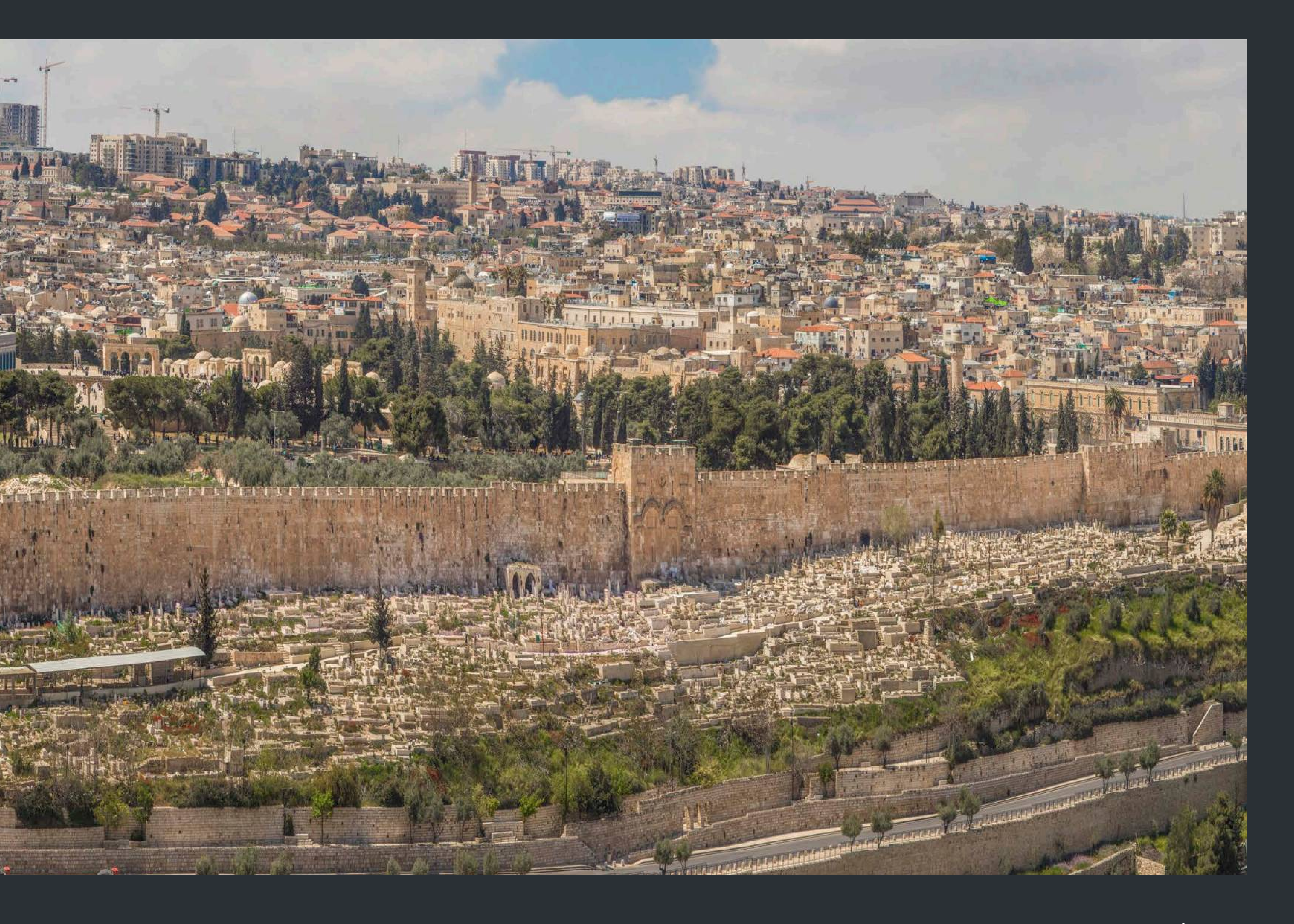


الجوامع والمساجد

الجوامع والمساجد والمصليات هي أماكن عبادة واجتماع للمسلمين. والمسجد في اللغة هو موضع السجود، الذي هو ركن من أركان الصلاة، ومنه اشتق مسجد الصلاة. والمسجد في المفهوم المعماري هو وحدة معمارية غالباً ما تكون مستقلة، تتكون من عناصر معمارية عدة. وأما الجامع، فهو من الجمع أي التأليف، والجمع لغة جماعة الناس، ويطلق على المكان الذي تصلى فيه صلاة الجمعة، حيث تكون الخطبة وكان يحضرها الأمير. والجامع في الأغلب هو مسجد القصبة، أو المدينة، وكان أحياناً يؤكد عليه فيقال المسجد الجامع. وفيما عدا المسجد الحرام، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى المبارك، فإن الجوامع عادة أكبر من المساجد في العالم الإسلامي، لكن الواقع الفلسطيني، وفي الأدبيات المحلية والعربية، وبخاصة في عمارة بيت المقدس، يظهر أن هناك خلطاً بين المسجد والجامع، ولذا فإن ترجمة كل منها في الأغلب تكون Mosque، وفي حالة التخصيص فإنه يطلق على المسجد الجامع (Congregational Mosque).

ونظراً لوجود مسجد-جامع كبير جداً في البلدة القديمة، بل بالأحرى مجمع معماري كبير، يشغل سدس مساحة البلدة القديمة، وقد باركه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، فإن أغلب مساجد وجوامع بلدة القدس القديمة، على كثرتها بالنسبة إلى حجم البلدة القديمة الصغير، تتميز بالبساطة وصغر الحجم والتقشف المعماري، ذلك أنه أبعد نقطة في البلدة القديمة عن المسجد الأقصى المبارك لا تأخذ أكثر من دقائق عدة ليقيم الصلاة فيه، وهو الوقت ما بين الأذان والإقامة. ولإعطاء فكرة موجزة عن الجوامع والمساجد، تم ترشيح ثلاثة مساجد-جوامع لكل منها ميزة وأفضلية خاصة به، وتعمد اختيار المسجد الأقصى المبارك والجامع الأقصى، لأن الثاني من الأول، أي هو جزء من كل، ولما لعمر بن الخطاب من مكانة في فتح القدس سلماً، ولموقفه الرشيد اتجاه كنيسة القيامة، تم تحييد اختيار مسجد عمر بن الخطاب المجاور لكنيسة القيامة عن غيره من مساجد المدينة للتعرف عليه ضمن هذا الجاليري.





المسجد الأقصى المبارك

بدايةً، يمكن التقرير باطمئنان أنه كُتِبَ ونُشِرَ عن المسجد الأقصى المبارك العديد من الكتب والمجلدات، وقطعاً هذه العجالة لا تفيه حقه من البحث، فهو يشكل سدس مساحة البلدة القديمة، وله سيطرة على مشهد المدينة كافة، فهو يشكل القسم الجنوب الشرقي من البلدة القديمة للقدس، وأقسام من جداريه الشرقي والجنوبي تشترك مع سور البلدة القديمة، لتحدد حدود البلدة القديمة والمسجد معاً.

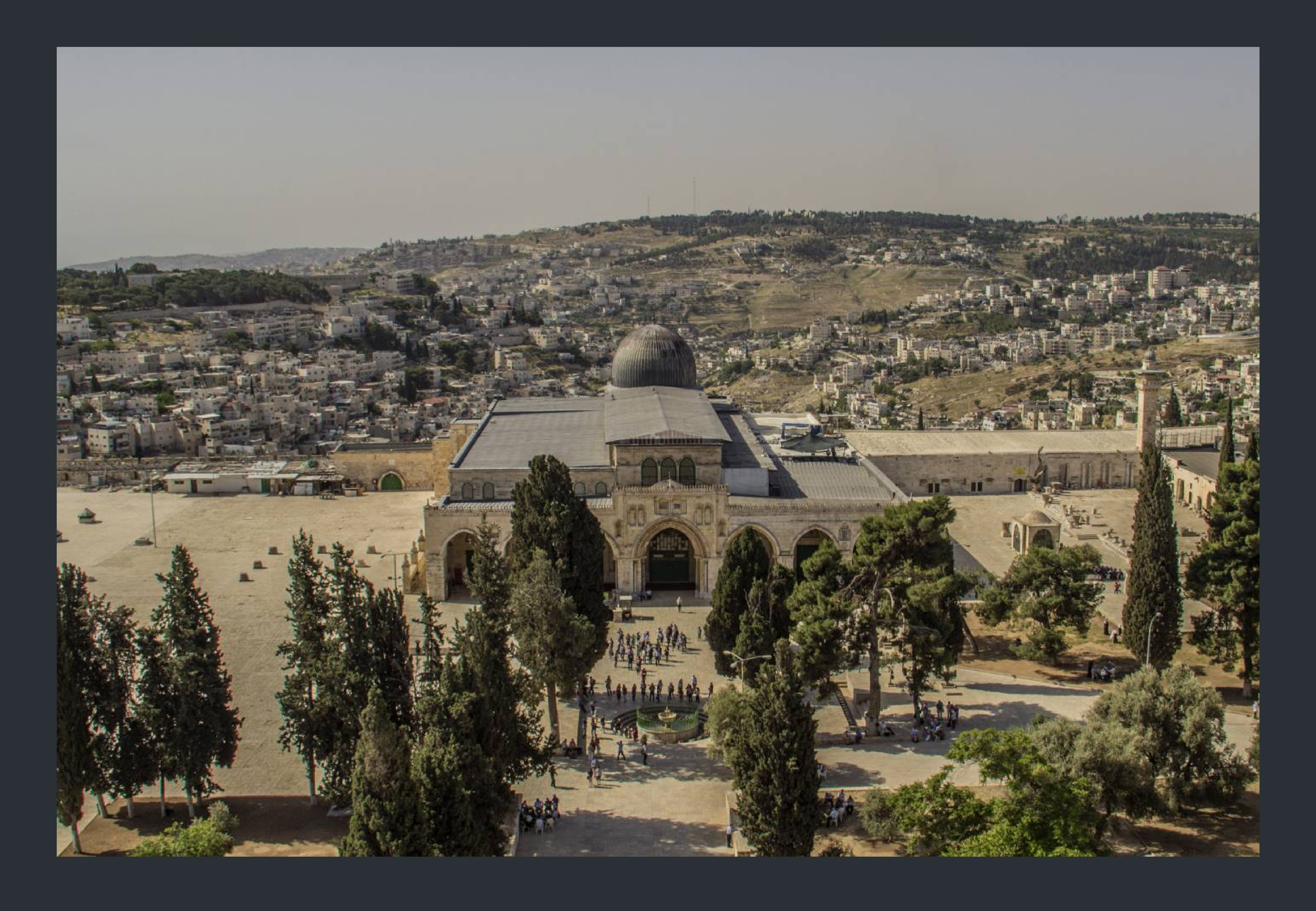
وقد عرف بأسماء تاريخية عدة منها: الحرم الشريف، الحرم القدسي الشريف، أولى القبلتين، ثاني المسجدين، ثالث الحرمين الشريفين. فهو مجمع معماري عريق وقديم، ويرتبط تأسيسه حسب الحديث النبوي بالأنبياء والصالحين فيما يخص قبل الإسلام، لكن الموقع مر بتطورات معمارية معقدة وطويلة من الهدم والبناء، حتى قدوم الفتح الإسلامي الذي شهد تطوير الموقع خلال أربعة عشر قرناً من الحضارة والعمارة والعطاء.

ومن حسن الطالع، أن تأسيس المسجد الأقصى المبارك ورعايته وترميمه وصيانته ارتبطت بالأنبياء والحكام والسلاطين والخلفاء والأمراء وصفوة القوم، من أمثال عمر بن الخطاب، وعبد الملك بن مروان، والخلفاء العباسيين والفاطميين، وصلاح الدين الأيوبي، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون، والأمير تنكز الناصر، والسلطان الأشرف قايتباي، والسلطان سليمان القانوني، والسلطان محمود الثاني، وغيرهم كثير مما سجل في المفردات والمباني المعمارية العديدة.



ومما يستحق التنويه إليه، أن المسجد الأقصى باركه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وقرآنه العظيم، فهو مباركة سماوية إلهية، ليست أرضية إنسانية، وهو مكان الإسراء والمعراج والقبلة الأولى، وهو ليس مبنى، إنما مجمع معماري مفتوح، فهو تلك المساحة التي تبلغ 144 دونماً.

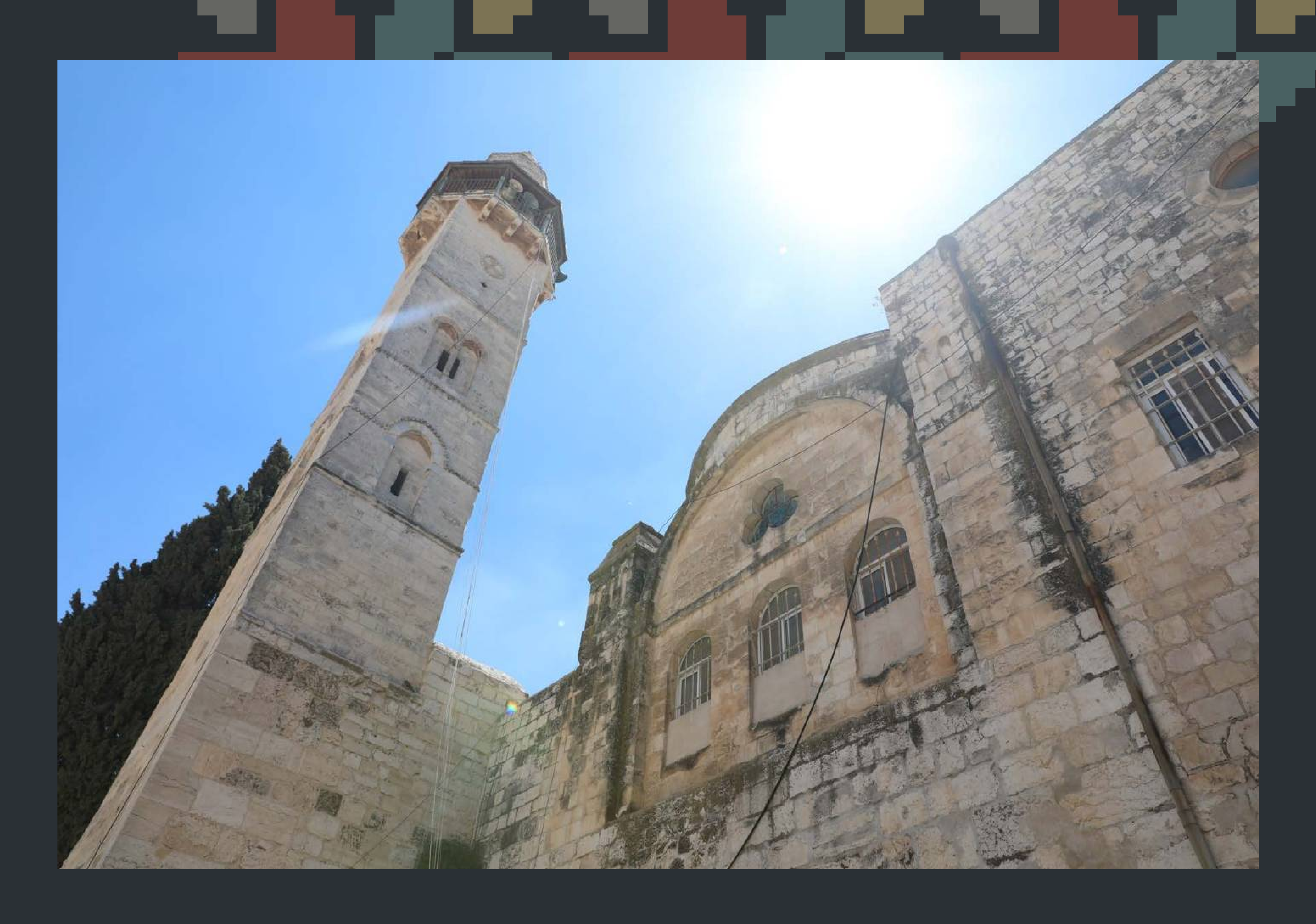
إنَّ المسجد الأقصى المبارك يضم مجموعة كبيرة من المساجد، والمدارس، والزوايا، والأروقة، والمساطب، والأسبلة، والبوائك، والمآذن، وقبة الصخرة المشرّفة، والجامع الأقصى، أو الذي يُسَمّى الجامع القبلي.



الجامع الأقصى

إنّ علاقة الجامع الأقصى مع المسجد الأقصى المبارك علاقة الجزء مع الكل، لأن الجامع الأقصى (مساحته 50 في 80 متراً) جزء يسير من المسجد الأقصى المبارك (مساحته 144 دونم)، وهو يقع في القسم الجنوبي من المسجد الأقصى المبارك إلى الجنوب من سبيل الكاس ما بين مبنى المتحف الإسلامي والساحة المكشوفة فوق المصلى المرواني. لكن نظراً لاشتراكهما معاً في لفظة الأقصى، فقد نتج عن ذلك لبس تاريخي وخلط في المفاهيم، وأقحم مبنى قبة الصخرة المشرّفة في هذا اللبس القديم الجديد، علاوةً على اعتماد مسميات جديدة كالمسجد القبلي التي زادت الأمور تعقيداً.

ويكتسب الجامع الأقصى أهمية كبيرة؛ فهو أول نشاط معماري إسلامي في القدس ومنطقة المسجد الأقصى المبارك، وقد سبق بناء قبة الصخرة المشرّفة على جلالة قدرها بما يقرب من نصف قرن، وهذا يعني أن مباركة المسجد الأقصى المبارك شاملة وليست مقصورة على أماكن مسقوفة أو نتوء صخري ربط بمكان المعراج، وأنه كان لعمر بن الخطاب رؤية تخطيطية شرعية جعلت من المحراب أن يكون في صدر المنطقة؛ أيْ جنوبها، وليس في وسطها، أو أمام الصخرة المشرّفة. وهذا لم يزل قائماً، بدلالة وجود المحراب والمنبر وإلقاء الخطبة في أقصى جنوب المسجد الأقصى المبارك الذي يتشكل من الجدار الجنوبي أيضاً من الجامع الأقصى.



مسجد عمر بن الخطاب

لا تكاد تخلو قرية أو بلدة فلسطينية من مسجد ينسب إلى عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني، ومؤسس الدولة العربية الإسلامية، فيقال مسجد عُمريّ، وهذا ليس بالضرورة أن يكون من بناء عمر بن الخطاب، وإنما يقصد به أنه قديم، ويعود إلى بدايات الفتح الإسلامي، وهذا واضح بتأثير قدوم عمر بن الخطاب واستلام القدس وفلسطين سلماً من البطريرك صفرونيوس، وبتأثير الرواية الراسخة بأن عمر -رضي الله عنه- رفض أن يصلي داخل كنيسة القيامة، حينما تزامن وقت الصلاة مع وجوده داخل الكنيسة، ليس ترفعاً، إنما رغبة في الحفاظ على مسيحية الكنيسة، وتجنباً لأي تنازع مستقبلي بين المسلمين والمسيحيين، ما أفصح عن رؤية مستقبلية متسامحة لحفظ الحقوق المسيحية في مدينة القدس.

آخذين في الاعتبار أن مدخل الكنيسة الحالي هو إفرنجي؛ أيْ من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وأن مدخل الكنيسة حينما قدم عمر كان من الجهة الشرقية وليس من الجنوب كما هو اليوم، فإن لهذا المسجد الأيوبي أهمية كبيرة، لأنه يخلد ويعيد التذكير بصلاة الخليفة عمر بن الخطاب خارج الكنيسة، ويؤكد على ما تقدم من تسامح وحقوق.

ويقع مسجد عمر بن الخطاب، الذي يعرف بمسجد الأفضل علي في قلب مدينة القدس في حارة النصارى، إلى الجنوب مباشرة جنوب الساحة التي تتقدم المدخل الجنوبي لكنيسة القيامة، وقد تم وقفه وتعميره سنة 589هـ/1193م، ورُمِّمَ المسجد في الفترة العثمانية سنة 1258هـ/ 1842 - 1843م. وقد قام بذلك الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي حاكم القدس والشام، وهو الذي أمر، حسب نقش كتابي، بعمارة هذا المسجد ابتغاء رضوان الله، بإشراف عز الدين جرديك متولي الحرب بالبيت المقدس.

ولعل من أهم قيم المسجد ما يمثله من تآخٍ إسلامي مسيحي؛ بمجاورته لكنيسة القيامة، وما نشاهده من تعانق مئذنة هذا المسجد مع مئذنة الخانقاة الصلاحية مع قباب وبرج جرسية كنيسة القيامة.


سقف قبة الصخرة من الداخل
Dome of the Rock ceiling





الحمامات التاريخية

لفظة حمّام (بتشديد الميم) تُجمع على حمّامات، وتعني المكان الذي يغتسل ويستحم فيه. والحمام مبنى معماري حضاري إنساني، عرفت في مجتمعات وحضارات عدة، وقد عرفها المسلمون مبكراً منذ القرن الأول الهجري. وعرف في القدس ثلاثة عشر حماماً هي: حمام الشفا، حمام العين، مستحم درج العين، حمام باب الأسباط، حمام السلطان، حمام مجاور لحمام السلطان، حمام علاء الدين البصير، حمام العامود، حمام سيدنا داوود، حمام البطرك، حمام السيدة، حمام السوق، حمام الصخرة. لكن ما صمد وبقي من هذه الحمامات التاريخية هي الحمامات الأربعة الأولى؛ أي حمام الشفا، وحمام العين، ومستحم درج العين، وحمام باب الأسباط.

لم تقتصر الحمامات على أداء وظيفتها الأساسية الخاصة بالطهارة والنظافة، بل تطورت لتؤدي وظيفة اجتماعية مهمة تحولت مع الوقت إلى عادات وتقاليد تمثلت بكون الحمامات مكاناً للاجتماعات، وحفلات الختان، واحتفالات الاغتسال بعد الولادة للسيدات، وقبل الزواج للشباب. إن ذاكرة أهل القدس والعديد من زوارها تحفل بالعديد من الفعاليات الاجتماعية والشعبية التقليدية، الخاصة بالحمامات ونشاطاتها. وروعي أن يتم تخصيص أوقات محددة للنساء، أو حتى إفراد حمامات خاصة لهن، كما يتبين مما تم اختياره تمثيلاً لحمامات القدس التاريخية.

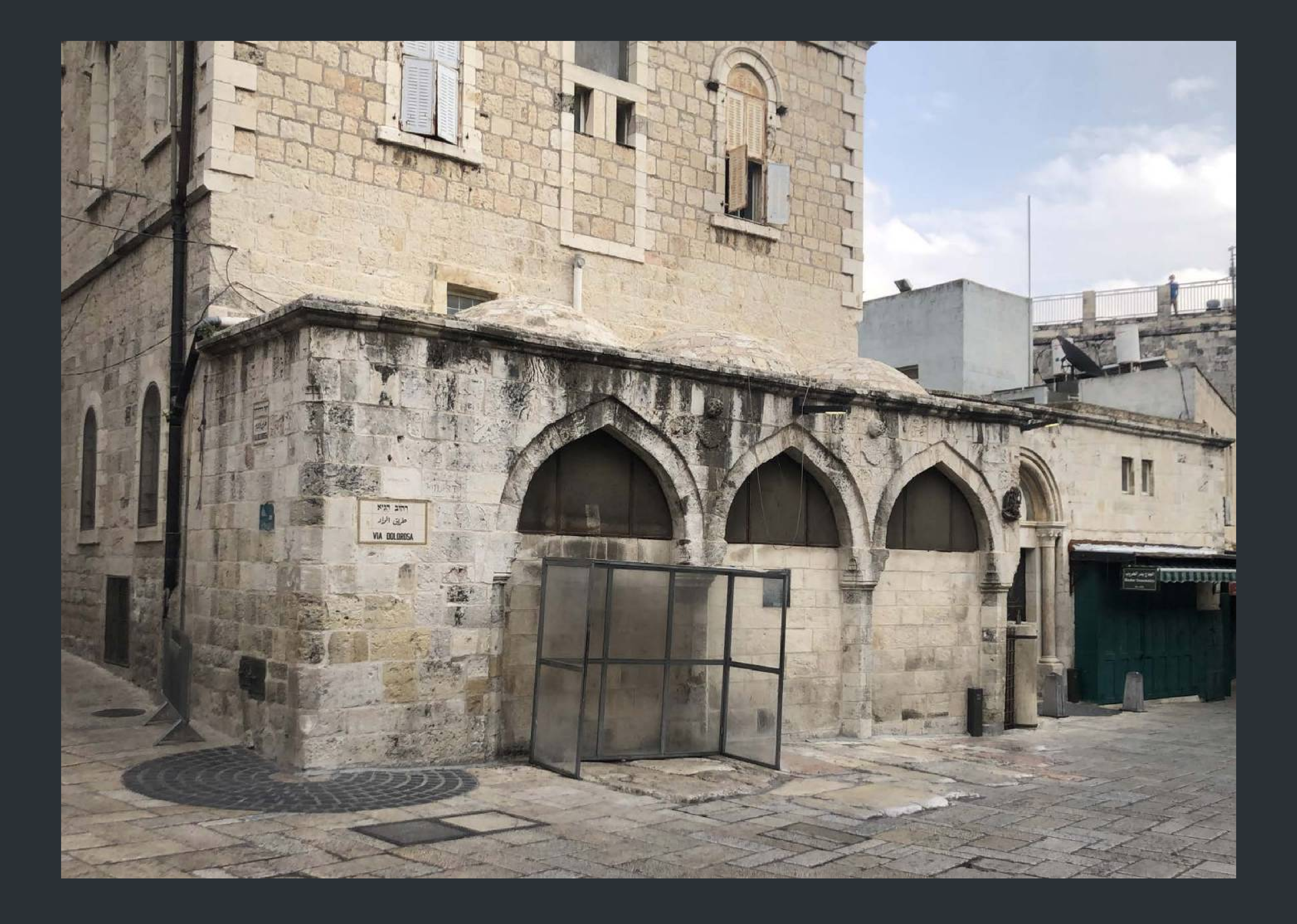


حمام العين

يقع حمام العين في الجهة الشرقية من طريق الواد مباشرة إلى الجنوب من مدخل سوق القطانين الغربي، وهو من ضمن مجمع معماري كبير أسسه الأمير تنكز الناصري، يشتمل على سوق كبير (القطانين)، وخان، وثلاثة حمامات، ورباط للنساء، ومدرسة (كلية)، علاوة على الاهتمام بتأمين المياه إلى القدس والمسجد الأقصى المبارك، وبهذا فإن الأمير سيف الدين تنكز أبو سعيد الناصري، هو من أشهر رعاة عمارة القدس. ويعود تاريخ الحمام إلى سنة 730هـ/1330م.

والواقع أن حمام العين من أشهر حمامات القدس في العهد المملوكي، وقد تمت إعادة تأهيله بالتعاون بين دائرة الأوقاف الإسلامية وجامعة القدس. ولحمام العين مكانة مرموقة في تاريخ القدس الاجتماعي والاقتصادي، وله مكانة في وجدان أهل القدس وذاكرتهم، وبخاصة في القرن العشرين في الفترة التي سبقت توقف الحمام عن أداء وظيفته الأصلية.

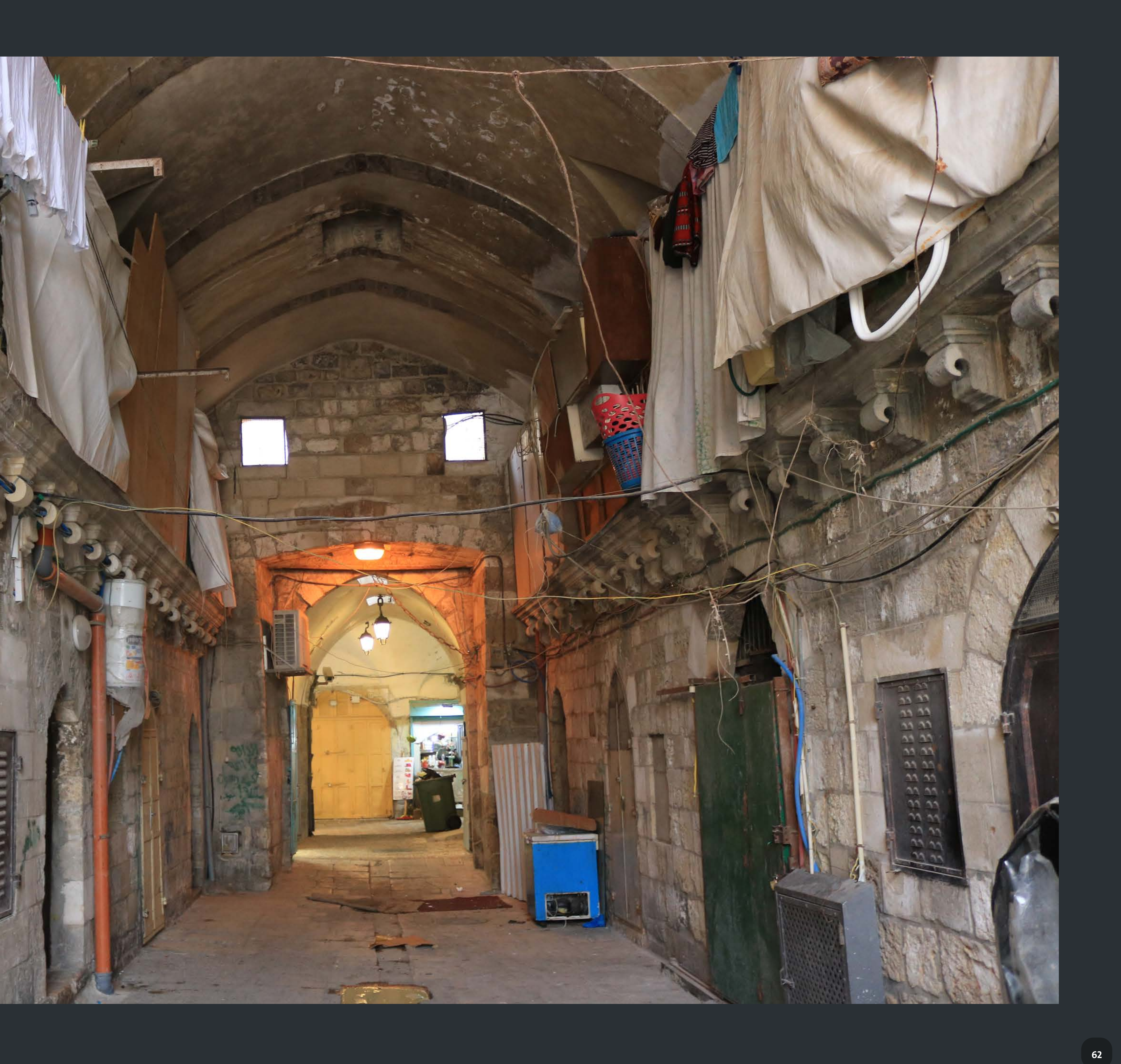




حمام خاصكي سلطان للنساء

خاصكي سلطان بالعربية، خرم بالتركية، وروكسلانة بالإنكليزية، فاطمة الزمان، عائشة الدوران كما وردت في حجة الوقف، حضرة والدة السلطان الأمير محمد شاهزادة، محبوبة السلطان سليمان، كلها ألقاب وأسماء تشير إلى زوجة السلطان سليمان القانوني، التي قامت برعاية مشاريع سلطانية خيرية في إستانبول ومكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، وقد نالت القدس من رعايتها ومحبتها، بأن أوقفت مبنى العمارة العامرة، أعظم المشاريع الخيرية الاجتماعية ليس في القدس فحسب، بل في كل فلسطين. والسلطانة صاحبة الحظوة، أولت النساء في القدس اهتمامها، بأن أسست لهن حمام خاص بهن، وحرصت على توصيل الماء إليه عبر قنوات من برك بيت لحم للقدس. وهذا ينم عن مكانة المرأة في القدس العثمانية، وعند السلطانة الأثيرة لدى سليمان القانوني.

أُسِّسَ هذا الحمام في سنة 959هـ/1552م، في الزاوية الجنوبية الشرقية عند التقاء طريق الواد مع طريق الآلام مقابل النزل النمساوي، والمبنى اليوم جزء من بطريركية الأرمن الكاثوليك.

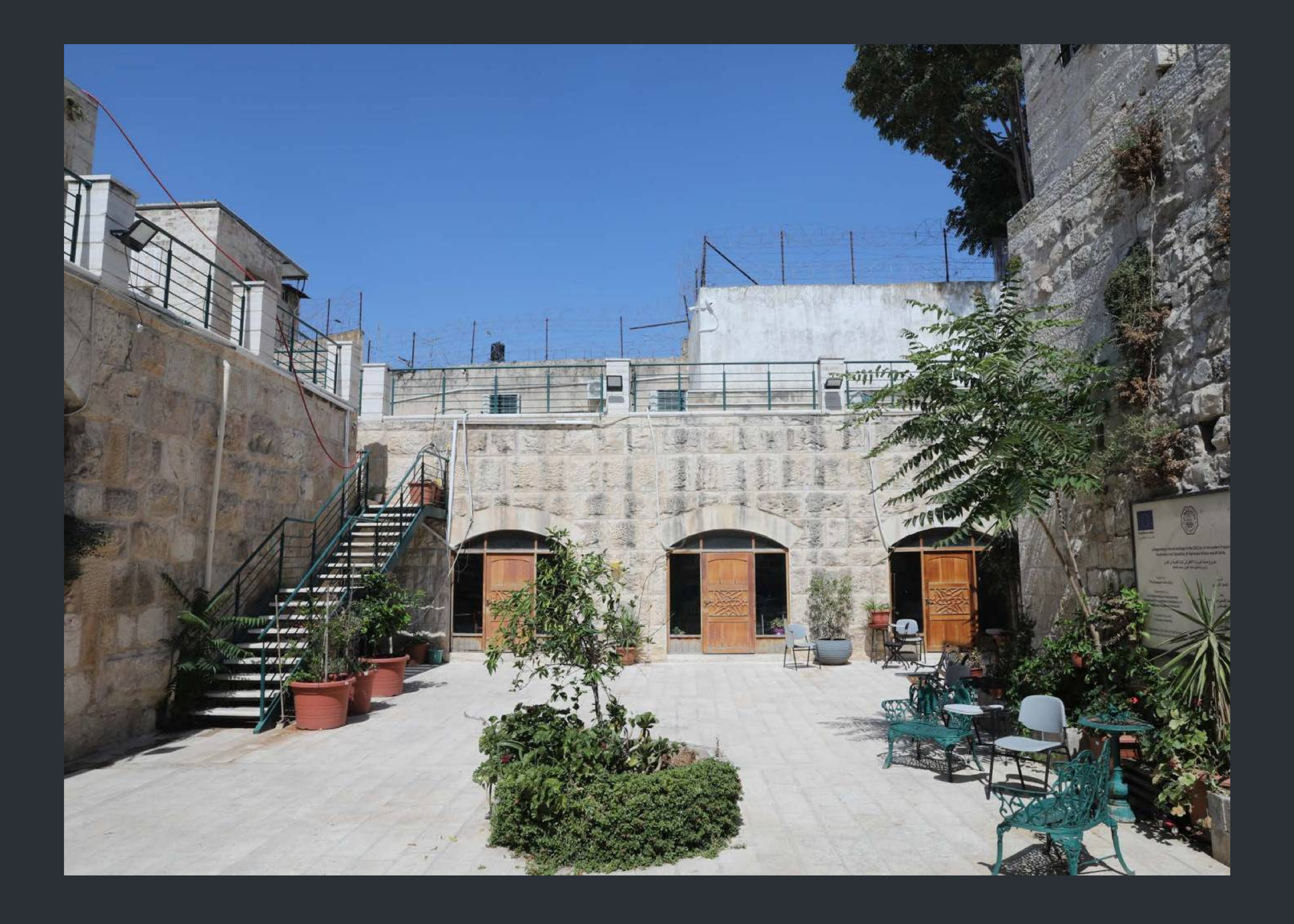


الخانات

مفردها خان، وهي لفظة معربة أصلها فارسي، كانت تطلق على النزل المفروش المتيسر فيه الطعام والشراب، حيث يقصده المسافرون، فالخان بهذا الاعتبار محطة للاستراحة والإقامة على الطرق الرئيسية الواصلة بين البلدات والمدن والدول. كانت المسافة الواقعة بين كل خان وآخر، مسيرة يوم واحد من الفجر حتى العشاء، وقدرت هذه المسافة في حدود 30 كم.

وانتشرت الخانات انتشاراً واسعاً في فلسطين، وأقيمت الخانات فيها في داخل المدن وخارجها، وتم انتخاب مواقعها على الطرق الرئيسية الطويلة والطرق الفرعية والعرضية بعناية، وبلغ عدد خانات فلسطين 160 خاناً. وازدهرت الخانات في القدس، حيث رصد 16 خاناً، منها خان السلطان للظاهر بيبرس 662هـ/1263م، وخان الأقباط 1839م، وخان تنكز 737هـ/1336م، وخان السلطان 788هـ/1386م، وخان الخاصكية أو خان العمارة العامرة، وخان الشعارة، وهناك خانات ذكرت في المصادر، لكن ليس من السهل تتبع مواقعها أو صفاتها المعمارية مثل خان الزيت، وخان الفحم، وخان المصرف، وخان العنابة أو العناية، وخان الجاولي، وخان الجبيلي، وخان العواري، وخان بني سعد، وخان القاضي بن نسيبة، وخان الغادرية. وتم اختيار خان تنكز وخان الأقباط لإعطاء فكرة مركزة عن الخانات التي اشتهرت في القدس، حيث الأول مملوكي ويعكس ازدهار القدس المعماري والتجاري، والثاني يدلل على التطورات والعلاقات التي ربطت طائفة الأقباط والقدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر.





خان تنكز الناصري

وعرف باسم خان سوق القطانين، وخان الأوتوزبير، وخان الطاحونة، وأقيم في سنة 737هـ/1337م في موقع حساس في قلب البلدة القديمة، في الجهة الجنوبية في وسط سوق القطانين ما بين حمام العين وحمام الشفا، شاهداً على رعاية مؤسسه العظيم، نائب السلطنة، الأمير أبو سعيد تنكز الناصري، صاحب المشاريع المعمارية الرائدة في القدس المملوكية.

وهذا الخان ركن أساسي من مكونات سوق القطانين، وإلى عهد قريب كان يتم استقبال التجار والزوّار فيه مع بضائعهم، لكنه أعدّ ليكون مقرّاً لمركز دراسات القدس في جامعة القدس، حيث يدرس الطلبة فيه درجة الماجستير في دراسات القدس، وحيث تقوم أنشطة اجتماعية وثقافية ومحاضرات عامة وجولات سياحية. وقسم من مرفقات الخان لا يزال مكاتب لدائرة الأوقاف الإسلامية.



خان الأقباط

يقوم الخان في الجهة الجنوبية من طريق عقبة الأقباط، قبيل الالتقاء مع طريق حارة النصارى من الشرق، وبناؤه يعود إلى 1254هـ/1839م، حيث بادر إلى تأسيسه المطران الأنبا إبراهيم مطران الأقباط في العقد الرابع من النصف الأول من القرن التاسع عشر. وحافز بناء الخان لاستقبال الحجاج الأقباط. ومعمارياً، يتكون الخان من طابقين فيهما (72) غرفة، يطلان على بركة البطرك (بركة السلطان) المجاورة. وللخان أهمية معمارية ودينية واقتصادية كبيرة، فقد كان مركزاً ومجمعاً لحرف صناعة الجلود والأحذية. مما يؤسف له، أن الخان بحاجة ماسة إلى الترميم وإعادة التأهيل، ونسيجه المعماري يعاني من الإهمال وتراكم المشاكل والاحتياجات. والأمل معقود على المشروع المعماري والترميمي الذي تنفذه جامعة القدس لتتم إعادة الاعتبار إلى البركة وإقامة النشاطات الاجتماعية والثقافية، لتساعد في العناية في معالم القدس، وتكفل لها الاستدامة والمساهمة في تطوير البلدة القديمة.



الخلاوي

أصل الخلوة (بفتح الخاء) التي تُجمع على خلاوٍ وخلوات، وتعرف باسم أوضة، أو حجرة، هي مكان يختلي المرء فيه؛ أي الانفراد بالنفس. وهي حجرة صغيرة في المباني الصوفية وفي المؤسسات التعليمية تكون لإقامة الطلبة أو المتصوفة المنقطعين للعبادة. ومع شيوع هذا المعنى في عمائر القدس الصوفية، فإن عمارة القدس تميزت باستخدام هذا اللفظ ليدل على مبنى معماري متوسط الحجم منفرد ومستقل. وهذا النوع من العمائر لم يعرف قبل العثمانيين، لا من حيث الوظيفة، ولا من حيث التصميم المعماري أو الموقع. وتقع معظم الخلاوي على سطح الصخرة المشرّفة، واستخدمت بيوتاً للعلماء، أو غرفاً لطلاب العلم، ومكاناً للتدريس وقراءة القرآن الكريم، وبعضها استخدم للسكن، وبخاصة للعلماء الكبار أو المدرسين. وتم اصطفاء خلوتين للاطلاع على هذا النوع من المعالم المعمارية، الأولى خلوة قيطاس بسيطة التكوين المعماري، والثانية خلوة أحمد باشا الشمالية الغربية، وهي جميلة، وبذل في تخطيطها وتصميمها، وتعتبر من أجمل المباني العثمانية على سطح قبة الصخرة المشرّفة داخل المسجد الأقصى المبارك.



خلوة قيطاس

تنسب هذه الخلوة إلى قيطاس بيك وهو من رجال الإدارة العثمانية، وحالياً هي مكتب الأحوال لحراس المسجد الأقصى المبارك، حيث تقع الخلوة على الزاوية الشمالية الغربية لسطح قبة الصخرة المشرّفة إلى الشرق من خلوة برويز، وإلى الغرب من الخلوة الجنبلاطية. وحسب نقش كتابي اعتمد حساب الجُمَّل، أمكن تحديد سنة البناء إلى العام 967هـ/1559م. والخلوة معمارياً مكونة من مبنى صغير مؤلف من طابقين من الحجر، كل طابق يضم غرفتين صغيرتين، الثاني العلوي منهما على مستوى سطح الصخرة المشرّفة، والأول الأرضي على مستوى الجامع الأقصى، وأصلها خلوة للاختلاء والتعبد في رحاب المسجد الأقصى المبارك.





خلوة أحمد باشا الشمالية الغربية

وأطلق عليها اسم حجرة أحمد باشا، والخلوة المملوكية، ومكتب مدير المسجد الأقصى المبارك، وموقع الخلوة على الجدار الشمالي لسطح قبة الصخرة المشرّفة، ملاصقة للدعامة الغربية للبائكة الشمالية الشرقية، وهذا موقع يشرح الصدر، ويحقق رؤية مباشرة لمبنى قبة الصخرة المشرّفة.

تخلو هذه الخلوة من نقش كتابي، لكن اعتماداً على حجة الوقف القيمة، فإن تاريخ الخلوة يعود إلى سنة 1009هـ/1601م، والوقفية كانت مصدراً مهماً للتعرف على المؤسس، أحمد بن رضوان باشا بن مصطفى باشا، الذي كان حاكم لواء غزة، وأمير الحج الشامي.

لا نبالغ إذا ما اعتبرنا هذا الْمَعْلَم من أجلّ المباني العثمانية وأجملها في مدينة القدس إذا ما استثنيت أعمال السلطان سليمان القانوني وزوجته خاصكي سلطان، هي سميت خلوة على سبيل المجاز وأصل الوظيفة، لكن هي، ببساطة، خير مثال مع بقية أعمال أحمد باشا على أسلوب مدرسة العمارة العثمانية المحلية في مدينة القدس، فهي تتمتع بتصميم معماري وزخرفي يجعلها من أجمل وأهم المباني العثمانية في المسجد الأقصى المبارك، ودون أدنى مبالغة فإنها تشكّل مبنى منفرد مستقل يعتبر تحفة فنية معمارية يستحق التأمل.






58
جامع
الزاوية النقشبندية
وجعلنا من الماء كل شيء حي

الزوايا والخوانق الصوفية

الزاوية، لغةً، هي الركن، وأطلقت على مقر الصوفية ومكان تجمعهم. وأما كلمة الخانقاة فهي لفظة فارسية معناها بيت، لكن أصبح مكان انقطاع الصوفية للعبادة والذكر، وبهذا فهي رديف للزاوية. من الملاحظ وجود تداخل في التخطيط المعماري أو النظام الإداري والمالي بين الزاوية والرباط والخانقاة. وفي المفهوم المعماري، الزاوية وحدة معمارية ينقطع فيها سكانها للعبادة والتعبد والذكر حسب شروط محددة يضعها الواقف، ويشرف عليهم متولّي يدير شؤونهم الحياتية والتعبدية.

وطبيعي أن يكون لكل مؤسسة أو عصر أو منشئ ظروف خاصة به تنعكس على تفاصيل المؤسسة الصوفية، من حيث الإمكانات المادية والتخطيط المعماري، بما يحويه من تفاصيل زخرفية وفنية. ومع إمكانية وجود هذه الفوارق الذاتية، فإن المؤسسة الصوفية؛ سواء أكانت تسمى زاوية، أم خانقاة، أم رباطاً، أم مسمى آخر، يجب أن تشتمل من ناحية معمارية على: مجموعة من الغرف الصغيرة تعرف باسم الخلاوي أو الحجرات، وقاعة كبيرة للقيام بالذكر والسماع والأوراد والجلسات الصوفية، ومسجد صغير للصلوات والدعاء والدرس والوعظ، ومطبخ متواضع، وغالباً ما تلحق بالمبنى مئذنة لكنها ليست شرطاً، وساحة مفتوحة، قد يكون جزء منها حديقة صغيرة مزروعة بالأشجار والورود، ومصدر للماء.

تنوعت وتعددت الطرق الصوفية في الإسلام، وقد انعكس هذا التنوع على حياة التصوف ونشاطه في القدس، بحيث مثلت أغلب الطرق الصوفية في القدس، وبخاصة في العصرين المملوكي والعثماني، ومن هذه الطرق نذكر أشهرها وهي: الطريقة الرفاعية للشيخ أحمد بن علي الرفاعي، والطريقة القادرية لعبد القادر الجيلاني، والطريقة المولوية لمولانا جلال الدين الرومي، والطريقة البسطامية نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامين، والطريقة النقشبندية ومؤسسها بهاء الدين البخاري، والطريقة الشاذلية اليشرطية ومؤسسها علي نور الدين اليشرطي، وهناك طرق أخرى كالعلاوية، والتيجانية، والوفائية، والقلندرية، واليونسية. ولأخذ فكرة عن التصوف والزوايا والخوانق في القدس، تم ترشيح الخانقاة الدوادارية، والزاوية القرمية.





الخانقاة الدوادارية

الدوادار، مسمى وظيفة مملوكية عريقة يتولاها كبار الأمراء، من رتبة أمراء الألوف، اشتقت من الكلمة العربية دواة (محبرة) ودر الفارسية بمعنى ممسك، فأصبحت ممسك الدواة كناية عن سكرتير السلطان والمسؤول عن مراسلاته. وقد تولاها مؤسس هذه الخانقاه، الأمير علم الدين أبو موسى الدوادار.

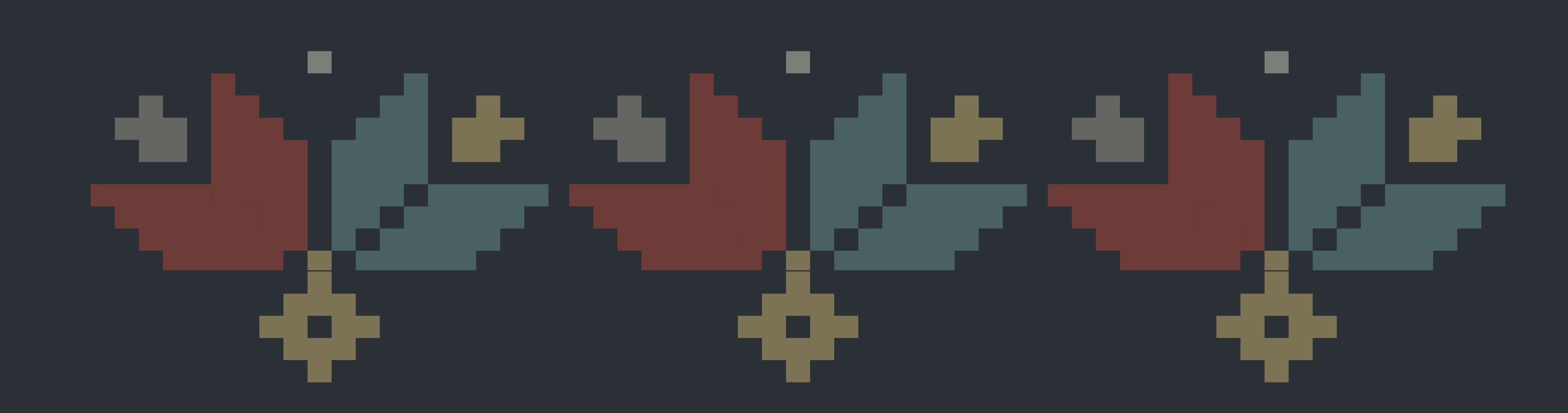
تقوم الدوادارية في طريق باب العتم مجاورة للمسجد الأقصى المبارك من جهة الشمال. وتعرف حسب كتابتها التأسيسية بدار الصالحين، كناية عن الصوفية المقيمين فيها. ويستشف من الكتابة التي يصعب قراءتها نظراً للعتمة وصعوبة الخط النسخي، أن الخانقاة قد أسست ابتغاء لوجه الله لإيواء ثلاثين نفراً من الصوفية من العرب والعجم، منهم عشرون عازباً وعشرة متزوجين، وأن تتم ضيافة من يرد إليها من طائفة الصوفية لمدة عشرة أيام. واشترط، أيضاً، أن يتم تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمذهب الشافعي فيها.

وتتميز الدوادارية بأصالة تصميمها وروعة فنها المعماري، فهي بحق تحفة معمارية فريدة في عمارة القدس.

الزاوية القرمية

هذه زاوية متواضعة من حيث النسيج المعماري والوقف إذا ما قورنت بغيرها من الزوايا مثل القادرية أو الصلاحية أو الدوادارية. تنسب القرمية إلى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد التركماني القرمي، أحد شيوخ الصوفية المشهورين في القدس المملوكية.

حظيت القرمية برعاية الأمير ناصر الدين محمد الجيلي، الذي تطوع لبناء هذه الزاوية وأوقف عليها ثلث ماله ضمن أوقاف أخرى خصصت للشيخ القرمي وذريته. ويغلب على نسيج الزاوية المعماري بساطة التكوين وقلة الزخرفة، ما يتناسب وسلوك الصوفية الحقة.

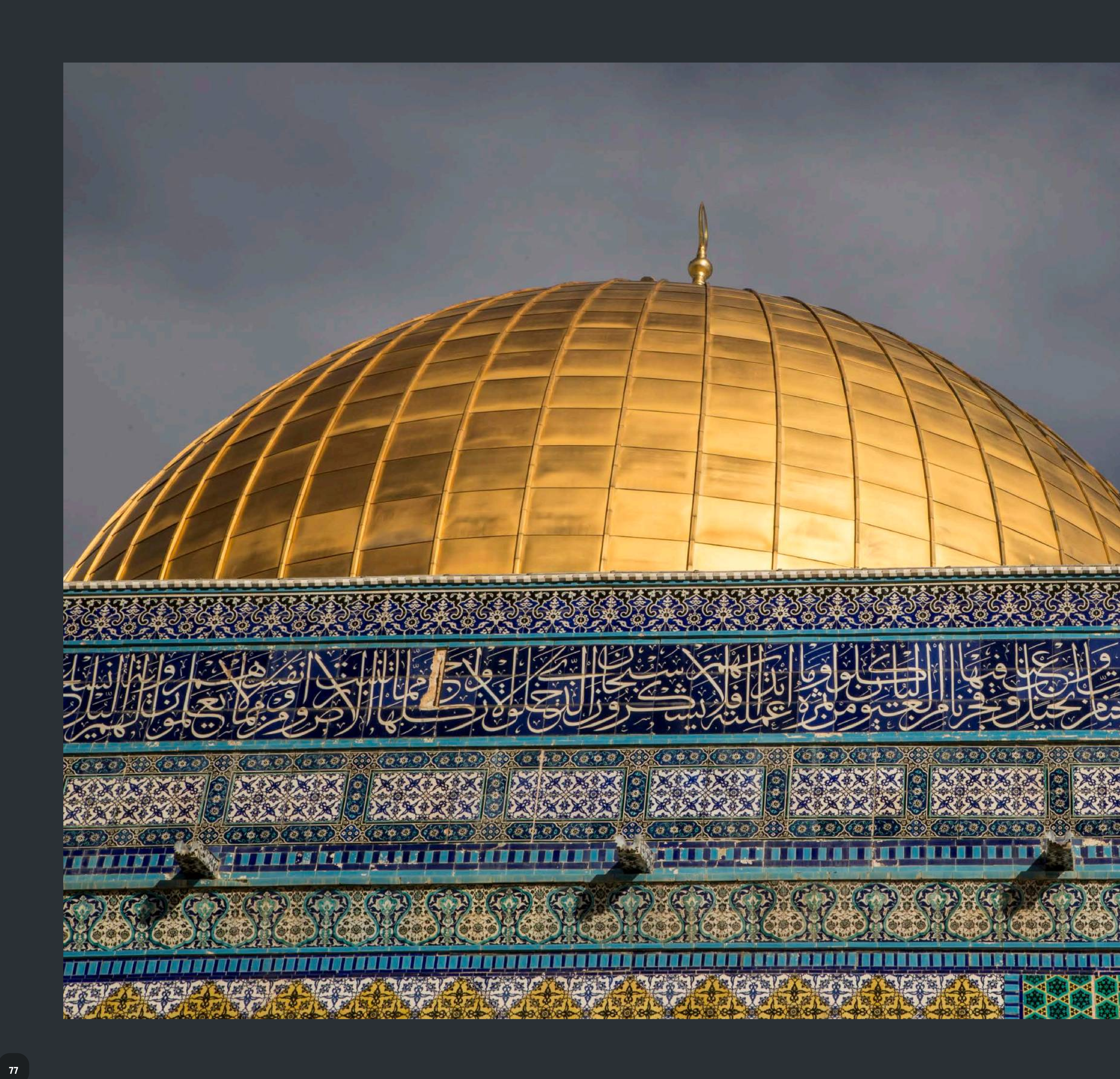


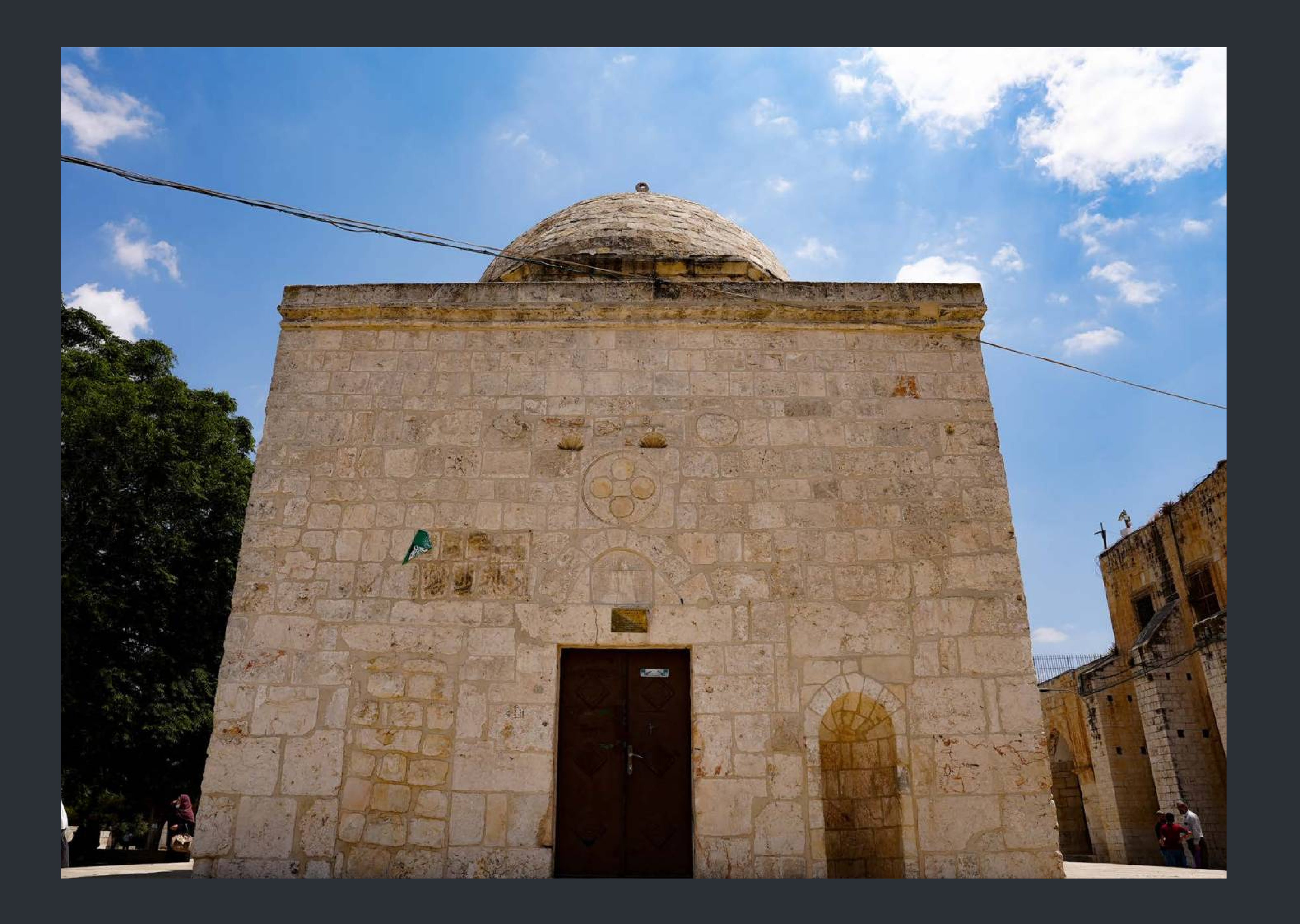


القباب

القُبّة (بضم القاف) جمعها قباب وقبب، هي بناء مستدير مقوس مجوف، فالقبة وهي بهذا نوع من أنواع التسقيف، مثلها مثل الأقبية بأنواعها المختلفة، والسطوح المستوية، ولكنها هنا تأخذ شكل نصف كرة تقريباً. والقبة قد تكون وحدة معمارية مستقلة؛ أي بناء قائم بذاته، وقد تكون جزءاً من بناء تشكل وحدة معمارية ضمن مجمع معماري أو مبنى كبير. ومن الضرب الثاني لدينا عدد لا حصر له من القباب في مدينة القدس، ويكفي أن يصعد إلى مكان عليٍّ ليشاهد هذه القباب الحجرية التي تميز عمارة القدس التقليدية. وأغلب ما وصلنا من الضرب الأول، أي القباب المستقلة التذكارية، تركز في منطقة المسجد الأقصى المبارك، وبلغ عددها 12 قبة: قبة الصخرة المشرّفة 72هـ/691-692م، قبة السلسلة 72هـ/691-692م، قبة المعراج 597هـ/1200-1201م، قبة سليمان 604هـ/1207-1208م، القبة النحوية 604هـ/1207-1208م، قبة الصالح نجم الدين أيوب 647هـ/1249-1250م، قبة النبي 1030هـ/1620م، قبة الأرواح 1037هـ/1627-1628م، قبة يوسف آغا 1092هـ/1681م (مستوى سطح قبة الصخرة المشرّفة)، قبة يوسف (على مستوى الجامع الأقصى) 1092هـ/1681م، قبة عشاق النبي 1233هـ/1817-1818م، وقبة الخضر 1222هـ/1807-1808م.

وتختلف هذه القباب فيما بينها من حيث: المساحة، وسبب البناء ودوافعه، والتخطيط المعماري والغنى الزخرفي، ومادة البناء، ومنطقة انتقال القبة، ومن حيث توفير الإضاءة الطبيعية، وفي أسلوب تكسية القباب من الخارج. وغني عن القول، إن القبة كأسلوب تسقيف وجدت في أغلب المباني، من أضرحة وترب ومدراس وأسبلة، ومآذن، وزوايا، ومداخل، ما يصعب حصره، وعليه، إضافة إلى ما ورد من معلومات عن القباب، وجد مناسباً انتقاء كل من قبة أيوبية هي قبة الصالح نجم الدين أيوب، وقبة عثمانية هي قبة يوسف آغا على سطح قبة الصخرة المشرّفة لإعطاء فكرة موجزة عن القباب في عمارة القدس.





قُبَّةُ الصّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيّوب

وقريباً كانت تعرف باسم قُبَّةُ مُوسى، وقد يكون هذا أحد الشيوخ الذي درس فيها، وعرفت باسم قُبَّةُ الشَّجَرَةِ، لوجود شجرة قريبة منها على الأرجح، ولكنها الآن تعرف، أيضاً، بالوظيفة المنوطة بها حالياً، وهي "دارُ تَحْفيظِ القُرآنِ الكَريمِ". ترى القبة قائمة على مسطبة حجرية مرتفعة، داخِلَ المَسْجِدِ الأَقْصَى المبارك في الجِهَةِ الغَرْبيّةِ مِنْهُ، حَوالَيْ (18) مِتْراً إلى الشَّرْقِ مِنْ بابَيِ السِّلْسِلَةِ وَالسَّكينَةِ. واستناداً إلى نقش كتابي فوق فتحة المدخل، كتب بخط النسخ الأيوبي، ومكون من خمس أسطر، فإنَّ تاريخ القبة يعود إلى سنة 647هـ/1249م، كما أن مؤسس القبة هو المَلِكُ الصّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيّوبُ آخِرُ سَلاطينِ الدَّوْلةِ الأَيّوبيّةِ، وَذلِكَ على الأغلب في أَثْناءِ زِيارَتِهِ لِلْقُدْسِ وَقِيامِهِ بِبَعْضِ الأَعْمالِ المِعْماريّةِ، احتفاءً بإنقاذها من أيدي الفرنجة على إثر معركة أطلق عليها لأهميتها حطين الثانية التي جرت في سنة 642هـ/1244م.



قُبَّةُ يوسُفَ آغا

تَقَعُ في الطَّرَفِ الجَنوبيِّ لِصَحْنِ الصَّخْرَةِ المُشَرَّفَةِ، غَرْبيَّ مِنْبَرِ الصَّيْفِ وَشَرْقيّ القُبّةِ النَّحْويّةِ، ويجب الحذر لأنها ليست قبة النبي يوسف (عليه السلام)، أو قبة يوسف صلاح الدين الأيوبي، كما قد يظن البعض نظراً لوجود نقش لعمل خندق أعيد استخدامه في نسيج القبة المعماري. ويوسف آغا هو والِي القُدْسِ العُثْمانيُّ، وَقَدْ لُقِّبَ بِأَنَّهُ مُعْتَمَدُ المُلوكِ وَالسَّلاطينِ وَمُؤْتَمَنُ الدَّوْلَةِ العَلِيّةِ العُثْمانيّةِ، وَذُكِرَ حسب النقش الكتابي على القبة، أن مِنْ وَظائِفِهِ أنّه آغا دارِ السَّعْدِ، وأن قَدْرِهِ عالٍ. ومما يستحق الذكر أن المِعْماريُّ الَّذي قامَ بِالبِناءِ هُوَ الحاجُّ عَلِيٌّ، وَكانَ مِعْماري المَسْجِدِ الأَقْصَى المُبارَكِ، وَهُوَ مِنْ عائِلَةِ النِّمِريِّ المشهورة التي تعود إلى جدهم الأعلى الذي عمل في بناء السور وباب العامود في فترة السلطان سليمان القانوني.

وهذه قُبَّةٌ تَذْكاريّةٌ لِطيفةٌ تعكس مستوى العمارة المحلية في القدس العثمانية والمسجد الأقصى المبارك، وَيَظْهَرُ فيها طابَعُ البِناءِ المَحَلِّيُّ المُطَعَّمُ بِمَوادَّ إفْرَنْجِيّةٍ مُعادٍ اسْتِخْدامُها.


כניסה
دخول
הכניסה לכותל מותנית בבדיקה בטחונית.
שער המגנוסטר מותאם למצב שבת
ומותרת הכניסה דרכו
באישור הגר"מ הלברשטאם והגר"י נויבירט זצ"ל
ויבלחט"א הגר"א נבנצל שליט"א
ורב הכותל המערבי הגר"ש רבינוביץ שליט"א
למחמירים ניתן לעבור בלי מתכת
(למעט אבזם, חגורה ומשקפיים)
כמו כן ניתן לדרוש בידוק ידני בשער
הכניסה בסמוך לישיבת "נתיב אריה"

القناطر

القناطر والقناطير جمع قنطرة، يقصد بها في المصطلح المعماري العام مبنى معقود (متقوس) يبنى فوق نهر لتيسير العبور عليه. لكن حسب تحديد مجير الدين الحنبلي، مؤرخ القدس والخليل في الفترة المملوكية، فالقناطر تماثل البوائك.3 لكن المقصود هنا، في مصطلح عمارة القدس المحلية، هو أن القنطرة سلسلة عقود متواصلة طويلة مقصور ما بينها، بحيث تستند عقودها على جانبي طريق، وتطل عبر نافذة أو أكثر مكسوة بخشب خرط (مشربية) على الطريق من جهتين. وهذا الطراز من العمارة قد يشبه، لكنه لا يتماثل، مع السِباط في مصطلح العمارة الإسلامية في إيران، أو عمارة القاهرة المملوكية إذا ما ارتبط بالسبيل، لكنه لم يشع في عمارة القدس إطلاقاً.

وفي عمارة القدس مجموعة كبيرة من القناطر، حسب ما تقدم من تعريف، بحيث لا تكاد تخلو طريق أو شارع أو زقاق من هذه القناطر. مما لا شك فيه أن هذا الأسلوب في البناء، قديم، يمكن تلمس بداياته من الفترة الرومانية، واستخدم في الفترة الأموية، وانتشر في الفترة المملوكية، لكنه حقق انتشاراً واسعاً، وأصبح أشبه بنموذج يحتذى لمن تتوفر لديه الإمكانيات والشروط.

ومع وجود عشرات الأمثلة من هذه القناطر في طرق القدس، فإنه سيكتفى بنموذج قديم، يعرف بقنطرة أم البنات.

قنطرة أم البنات

وتعرف باسم قوس ويلسون، نسبة إلى من أعاد اكتشافها بتسليط الضوء عليها، وقد تكون ما قصد به القبو السليماني في إحدى حجج وقف المغاربة في القدس.

وزيارة هذا الْمَعْلَم ليست سهلة؛ كونه يستلزم المرور على نقطة شرطة تابعة لقوات الاحتلال الإسرائيلي للتفتيش الدقيق في طريق الواد، وأخرى عند عقبة أبو مدين الغوث حيث زاوية المغاربة، علاوة على أنه يُستعصى المرور منها، فإن محاولة الزيارة والخضوع إلى تفتيش دقيق وطرح أسئلة وانتظار حتما سيشعر المحاول بالاغتراب. وعموماً، تقع هذه القنطرة عند نهاية طريق الواد من الجهة الجنوبية، قبيل طريق درج العين الموصلة إلى طريق باب السلسلة التي تقوم فوق القنطرة، حيث مطعم البراق ومدخل النفق من الشمال.

وفيما يخص تاريخ القنطرة، فيرجح أن الأصل روماني من فترة هيرود الكبير (37-4 ق. م)، لكن تم تجديدها في الفترة الأموية (65-86هـ/685-705م) أثناء مشروع عبد الملك بن مروان الكبير للعناية بالمسجد الأقصى المبارك، وبني لاحقاً فوقها طريق باب السلسلة في الفترة المملوكية في حدود العام (729هـ/1328م)، بجهود من الأمير تنكز الناصري نائب الشام المتنفذ.

لا يعرف على وجه الدقة دوافع التسمية بأم البنات، لكنها قنطرة مكونة من عقود متلاصقة متتالية عدة، سقف ما بين كل عقد وآخر قبو نصف برميلي يميل إلى الدبب لتشكل ما يشبه الجسر بالمفهوم المعماري الحديث. وتمتد القنطرة من نهاية طريق الواد باتجاه الجنوب حتى أول ساحة البراق الشريف من جهة الشمال.

3 راجع مصطلح وعمارة البوائك في هذه الدراسة حسب الترتيب الأبجدي.





الكنائس

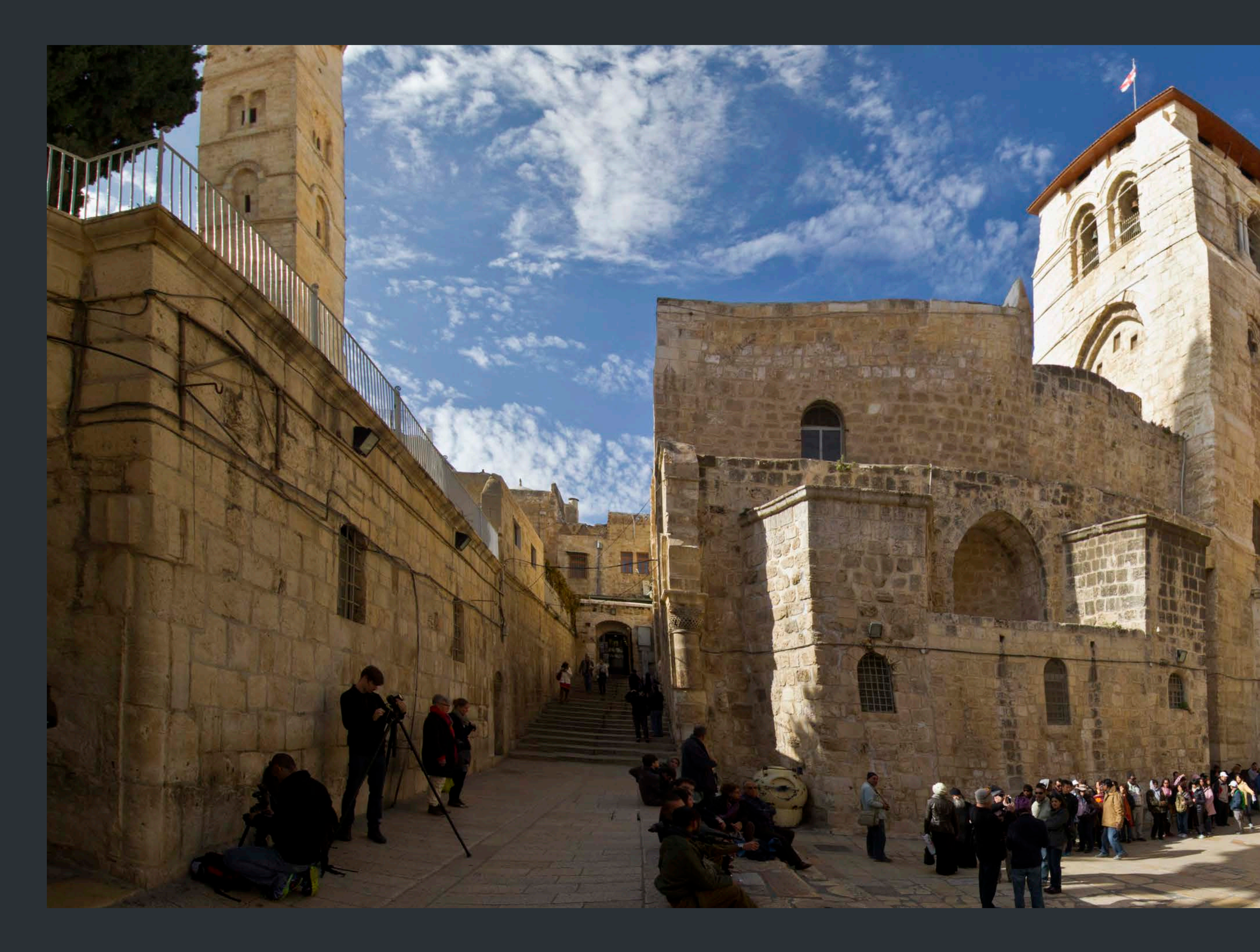
ومفردها كنيسة، وهي مكان اجتماع المؤمنين من المسيحيين حيث يتم أداء الشعائر والطقوس والقداديس والصلوات الخاصة بالعقيدة المسيحية. والكنائس المبكرة أسست على طراز البازيليكا، ومنها ما كان على طراز القبة المركزية. وتتكون وحدات الكنيسة بشكل عام من فناء متقدم (نارتكس) ومن بدن الكنيسة، حيث يجلس المصلون، ومن حنية حيث يكون المذبح (طاولة القرابين-القداس) حيث يكون رجال الدين. وكثير من الكنائس الشرقية يفصل البدن عن الحنية جدار أيقوني. وازدهرت الكنائس في القدس، حال انتشار المسيحية، وتعمّقت وزاد انتشارها بعد أن أصبحت المسيحية الدين الرسمي للدولة البيزنطية. وأغلب كنائس القدس وفلسطين مرت بثلاث مراحل من البناء والترميم وإعادة البناء، وهي الفترة البيزنطية، والفترة الإفرنجية، والفترة الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكنائس القدس كثيرة وذات طرز متنوعة. ومن الأمثلة على الكنائس المعمارية التاريخية نذكر -على سبيل المثال لا الحصر- كنيسة القيامة، وكنيسة النيا، وكنيسة سانت آن (الصلاحية) وبقايا مجمع كنيسة ماري الألمانية، وكنيسة سانت إجنس، وكنيسة سانت جوليان، وكنيسة مار مرقص للسريان، وكنيسة يوحنا المعمدان، وكنيسة القديس يعقوب الأرمنية، وكنيسة الجلد، وكنيسة المسيح، وكنيسة حبس المسيح-روم أرثوذكس، وكنيسة القديسة فيرونيكا، وكنيسة المخلّص، وكنيسة أوجاع العذراء-أرمن، وكنيسة ألكسندر نافسكي. وبعض هذه الكنائس ليست مبانٍ منفردة، بل قد تكون داخل دير، أو بطريركية، وقد تكون داخل مجمع معماري، وقد تحتوي الكنيسة على بيع (كابيلا) وصوامع ومذابح، فكثير من كنائس القدس مركبة التكوين والوحدات. ولمعرفة أشهر كنائس القدس، تم اختيار مجموعة من الكنائس تمثل فترات زمنية مختلفة وطوائف مسيحية متعددة، علاوة على الطرز المنوعة. وقطعاً من المناسب بدء البحث بأم الكنائس ودرة الكنائس في الشرق والغرب، كنيسة القدس وكنيسة فلسطين، كنيسة القيامة.



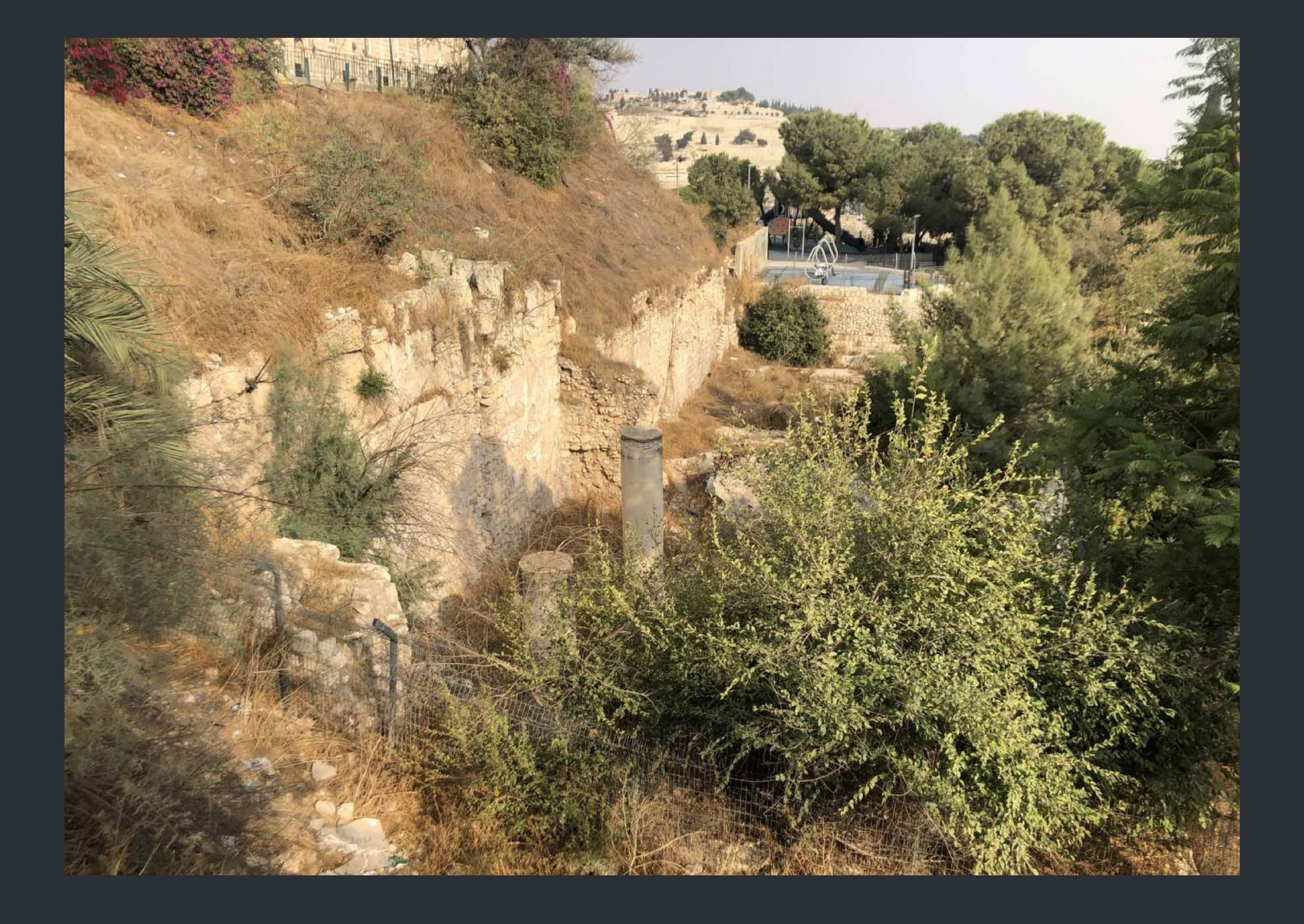


كنيسة القيامة

كنيسة القيامة بالعربية، أو كنيسة القبر المقدس بالإنكليزية، ليست كنيسة عادية، إنما هي مجمع كنائس، وهي أم كل الكنائس، وهي مركز الحج المسيحي الأول، حيث صلب المسيح وقام من بعد صلبه حسب العقيدة المسيحية. كنيسة تقوم في قلب البلدة القديمة في حارة النصارى، حيث طريق الخانقاة الصلاحية من الشمال، وطريق حارة النصارى من الغرب، وطريق خان الزيت من الشرق، وطريق كنيسة القيامة من الجنوب. ولموقع الكنيسة تاريخ قديم يعود إلى العام 63 ق. م، حيث بدايات حكم روما الوثنية للقدس، لكنه لاحقاً ارتبط بصلب السيد المسيح في العام 30م، لكن كان على الموقع أن ينتظر إلى العام 335م، أي ما يربو على 3 قرون، ليتم تأسيس الكنيسة في الفترة البيزنطية لتخلّد صلب وقيامة المسيح "عليه السلام" حسب اللاهوت المسيحي؛ ذلك نظراً لسيطرة الديانة الوثنية، والاضطهاد لمن اعتنق المسيحية، إلى أن تم تبني المسيحية من قبل الإمبراطور قسطنطين الكبير ووالدته القديسة هيلانة.



من الجدير ذكره، أن تخطيط كنيسة القيامة حينما أسسها الإمبراطور قسطنطين الكبير وأمه القديسة هيلانة، كانت تضم أربعة أقسام: فناء متقدم (Atrium) وبازيليكا، وساحة مكشوفة ضمّت الجلجلة (مكان الصلب حسب المعتقد المسيحي Golgotha) والقبر المقدس. لكن عانت الكنيسة خلال تاريخها العريق من اضطرابات عدة أثرت عليها، كالغزو الفارسي في سنة 614م، وسياسة الحاكم المتقلبة في سنة (400هـ/1009م) اتجاه النصارى والمسلمين أيضاً، ومن حريق عام 1808م، ومن الزلازل سنة 1927م، ومن سياسة التنافس بين الطوائف المسيحية، ومن سياسة الوضع الراهن (Status quo). لذا، فقد تمت إعادة هيكلة الكنيسة وتغيير مدخلها في عهد الفرنجة، مع بقاء مفتاح غلق وفتح الكنيسة بأيدي المسلمين من قبل آل جودة وآل نسيبة بموجب فرمانات سلطانية مقبولة على كل الطوائف المسيحية.



كنيسة النيا

النيا باليونانية تعني الجديد، ولذا تعرف هذه بكنيسة مريم الجديدة، أو كنيسة مريم والدة المسيح، أو الكنيسة الجديدة، لكن من دواعي الأسف الشديد أن الموقع مهمل ودون أية يافطات إرشادية، وهو عبارة عن مخلفات من حفريات تكونت من تراكم الأتربة وبقايا معمارية من جدران ودعامات، توجد إلى الجنوب الشرقي من باب النبي داوود مجاورة لمسار سور القدس، وهي داخل حديقة عامة فيها ملاعب، ما يجعل الاهتداء إليها ليس سهلاً. وتعود الكنيسة إلى سنة 527م565-م، حيث أسسها الإمبراطور البيزنطي جستنيان، حيث كان لها تخطيط على الطراز البازيليكي، وكانت من أهم المباني التي أقيمت في القدس، حيث وصلت إلى درجة منافسة كنيسة القيامة. وعلى العموم، فإنَّ الموقع يساعد في تتبع التطور الكنسي والمعماري ومشاريع القدس البيزنطية، ويؤمل أن يتم العناية به بما يعكس ماضيه. وباكتشاف موقع هذه الكنيسة، توقف الاعتقاد الخاطئ لدى البعض أنها أسفل الجامع الأقصى، ما كان يوحي أن الأقصى بُنِيَ فوقها، وذلك اعتماداً على وصف الموقع المقتضب الذي وفره بعض الرحالة.

كنيسة القديسة حنة

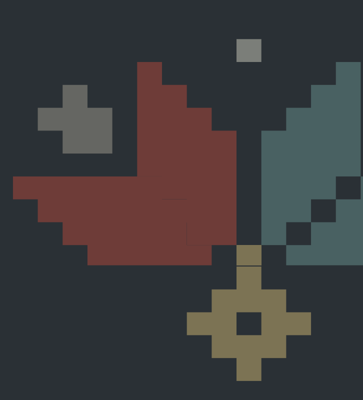
المدرسة الصلاحية، أو مجمع كنيسة القديسة حنة، أو كنيسة سانت آن، كلها أسماء تدل على موقع مهم في مدينة القدس، يضم بقايا أثرية ومبانيَ معماريةً متعددة، تذكِّر بمجموعة من القيم والأحداث الروحية والتاريخية، بحيث تضعه في مصاف المواقع التاريخية والدينية المهمة في مدينة القدس، قلما يستغنى عن زيارته من قبل الزوار والمؤمنين والمهتمين. وهذا المعلم يوجد داخل البلدة القديمة في القدس على بعد أمتار عدة غرب باب الأسباط في الجهة الشمالية من بداية طريق المجاهدين من الجهة الغربية.

يعكس المبنى، في طبقاته الأثرية ومركباته المعمارية، تاريخ القدس الحافل بالتعددية الحضارية والدينية، وحتى العديد من المظاهر السياسية. فقد ارتبط الموقع، بدايةً، بإله الطب سرابيوس أسكلابيوس من العهد اليوناني، وفيه قام السيد المسيح بأولى معجزاته في القدس. وحسب التقليد المسيحي الشرقي، فإنه مكان إقامة والدة السيدة مريم العذراء حنة، وهو، أيضاً، مكان ولادة السيدة مريم. ولذا، فإنه منذ الفترة البيزنطية، تم بناء كنيسة ضخمة في منطقة المعبد الوثني، لكنها هدمت من قبل الفرس، وعلى إثر ذلك، تم استخدام الموقع في الفترة الفاطمية كدار علم، لكن في فترة الفرنجة تمت إعادة بناء الكنيسة البيزنطية، علاوةً على بناء كنيسة أخرى فوق المغارة التي ولدت فيها السيدة مريم حين إقامة والديها في المغارة حسب التقليد المسيحي الشرقي.

وبعد فتح القدس من قبل صلاح الدين الأيوبي، تم تحويل الكنيسة الكبيرة إلى مدرسة للفقه تتبع المذهب الشافعي، وكان هذا التحويل بسبب جلاء الفرنجة، ولأن صلاح الدين أراد أسلمة المدينة. وهذا لم يؤثر على أهمية الموقع عند المسيحيين، فقد استمروا في القيام بشعائرهم وزيارة الحجاج لها من الجدار الجنوبي. وقامت المدرسة بإثراء ودعم الحياة الفكرية والفقهية في القدس الشريف، وكان وقفها من أغنى أوقاف المدارس لتعيينها أفضل العلماء، مثل: كمال الدين بن أبي شريف المقدسي. ولاحقاً، تعطلت المدرسة وتم منحها لفرنسا من قبل السلطان العثماني للإمبراطور نابليون الثالث؛ اعترافاً بموقف فرنسا في حرب القرم في العام 1856م.

فالزائر للمجمع يمكن أن يتتبع بقايا معبد وثني، وبرك ماء كبيرة، وكنيسة بيزنطية (427م)، وبقايا كنيسة إفرنجية، إضافة إلى كنيسة قائمة من عهد الفرنجة (523هـ/1129م) استخدمت مدرسة أيوبية (588هـ/1192م). والكنيسة رخامية قليلة الزخرفة، وأسفلها توجد مغارة طبيعية، تعلوها قبة حجرية حديثة ويتقدمها مذبح صغير، وهي مغارة ولادة السيدة مريم العذراء والدة السيد المسيح. ومقابل الغرفة، توجد غرفة تضم أيقونة ميلاد السيدة مريم.

الموقع الآن تحت إشراف مؤسسة الآباء البيض.





كنيسة سانت جوليان

هي حالياً مقر مركز العمل المجتمعي–جامعة القدس، الواقع في الجهة الشمالية من بداية طريق عقبة الخالدية الممتدة من طريق الواد، أمام مدخل سوق القطانين الغربي وقبيل تفرع الطرق لعقبة السرايا. والكنيسة غير مؤرخة، والمرجح أنها تعود إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

وهذه كنيسة محلية متقشفة، تعود في تاريخها إلى فترة الفرنجة، وتتشابه هذه الكنيسة مع كنيسة سانت أجنس في التكوين المعماري، وفي البساطة والتخطيط، لكن كنيسة القديس جوليان تختلف في أنها مبنى مستقل؛ أيْ منفرد، وأنها أكبر حجماً أيضاً. وكان مبنى الكنيسة لفترة قريبة ورشة حدادة، لكن قامت جامعة القدس مشكورة، بالتعاون مع دائرة الأوقاف الإسلامية، بإعادة تأهيل القاعة لتصبح مركزاً جماهيرياً لخدمة العمل المجتمعي، وعيادة قانونية لمساعدة أهالي البلدة القديمة الذين يعانون من أنظمة وقوانين الاحتلال الإسرائيلي الجائرة. واللافت للنظر أن أصحاب هذه الكنائس كانوا من الفرنجة الوافدين الأوروبيين، وقد جلوا عن القدس بجلاء الفرنجة عموماً، وتتم إعادة الاستخدام عن احترام للنسيج المعماري، وتم إسناد وظائف واستخدامات ثقافية تحافظ على المبنى وتسمح بالتمتع به.



كنيسة مار مرقص للسريان الأرثوذكس

هي جزء من دير السريان، بطريركية السريان، المعروف بدير مار مرقص، وتقع الكنيسة في طريق دير السريان المتفرعة من سوق الحصر.

الرواية السريانية ترجع الموقع إلى القرن الأول الميلادي مع أحداث المسيحية المبكرة، لكن المبنى من ناحية معمارية، وبخاصة المدخل، يعود إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي؛ أيّ فترة الفرنجة. وأثناء ترميمات جرت سنة 1940م، اكتشف نقش كتابي مثبت حالياً على الحائط الجنوبي من مبنى الكنيسة يفيد: "هذا بيت مارية والدة يوحنا المسمى بمرقص».

واعتماداً على التقليد والرواية السريانية، فإنّ هذا الموقع مهم للغاية؛ فهو مكان العشاء الأخير؛ أي علّية صهيون، حيث غسل المسيح أرجل حوارييه، ونزل عليهم الروح القدس، وهو، أيضاً، منزل القديس مرقص، الذي كان أول أسقف لطائفة السريان في القرن الثاني بعد إعادة بناء مدينة القدس على يد هادريان. وعليه، كرست كنيسة في الموقع بعد صعود المسيح، وأعيد بناؤها في سنة 73م بعد هدم المدينة على يد تيطس.

في القسم الغربي من بدن الكنيسة درج يوصل إلى مساحة تحت أرضية مخططها مستطيل، وهي التي يعتقد أنها مكان العشاء الأخير. لقد رمم مبنى الكنيسة مرات عدة، والمذبح والكرسي مع الجدار الأيقوني وكتاب الصلوات وغيرها من أدوات الشعائر والقداديس تعود إلى ترميمات سنة 1733م. ويحوي الدير مجموعة قيّمة من المخطوطات السريانية، وهي اللغة التي لا تزال شعائر الكنيسة تقام بها، وقد تم ترميم الموقع، مؤخراً، من قبل مؤسسة التعاون.

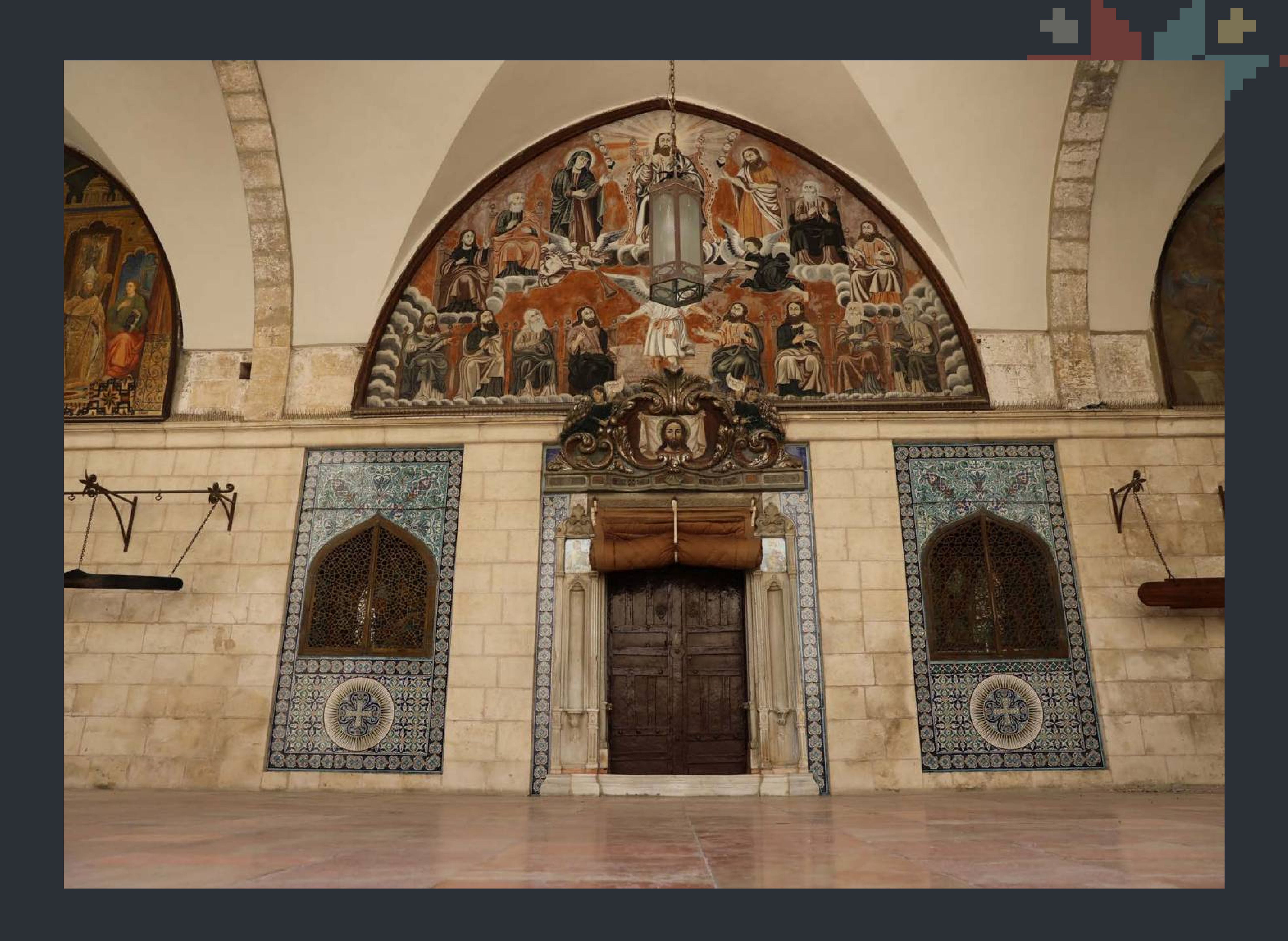


كنيسة يوحنا المعمدان

تقوم كنيسة يوحنا المعمدان في الجهة الشرقية من القسم الجنوبي من طريق حارة النصارى قبيل التقاء الطريق بسويقة علّون، والدخول إليها يتم عبر باب بسيط غير لافت للنظر، ويحتاج إلى انتباه لإيجاده، لأنه محصور بين حوانيت طريق حارة النصارى الممتدة في الجهة الشرقية من الطريق. لكن قبة هذ الكنيسة الفضية تلفت نظر من يسير في سوق أفتيموس، حيث نافورة الماء الكلاسيكية، وتدعوه إلى زياراتها واكتشاف جمالها وبساطتها.

ومؤسس (مرمم) هذه الكنيسة هو يوحنا بطريرك الإسكندرية، لكن أصل الكنيسة يعود إلى الفترة البيزنطية في القرن الخامس الميلادي، لكن تم ترميمها أكثر من مرة، إحداها بعد تضررها في العام 614م، وأجزاء كثيرة تعود إلى فترة الفرنجة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

وتكتسب الكنيسة مكانة في العقيدة المسيحية كونها مرتبطة مع يوحنا ابن خالة المسيح الذي قام بتعميده، وفي التقليد الذي يجعل من الموقع مكان حفظ بعض من رفات يوحنا المعمدان، وقد اتخذت الكنيسة مقراً للرهبان الأسبتارية في فترة الفرنجة.

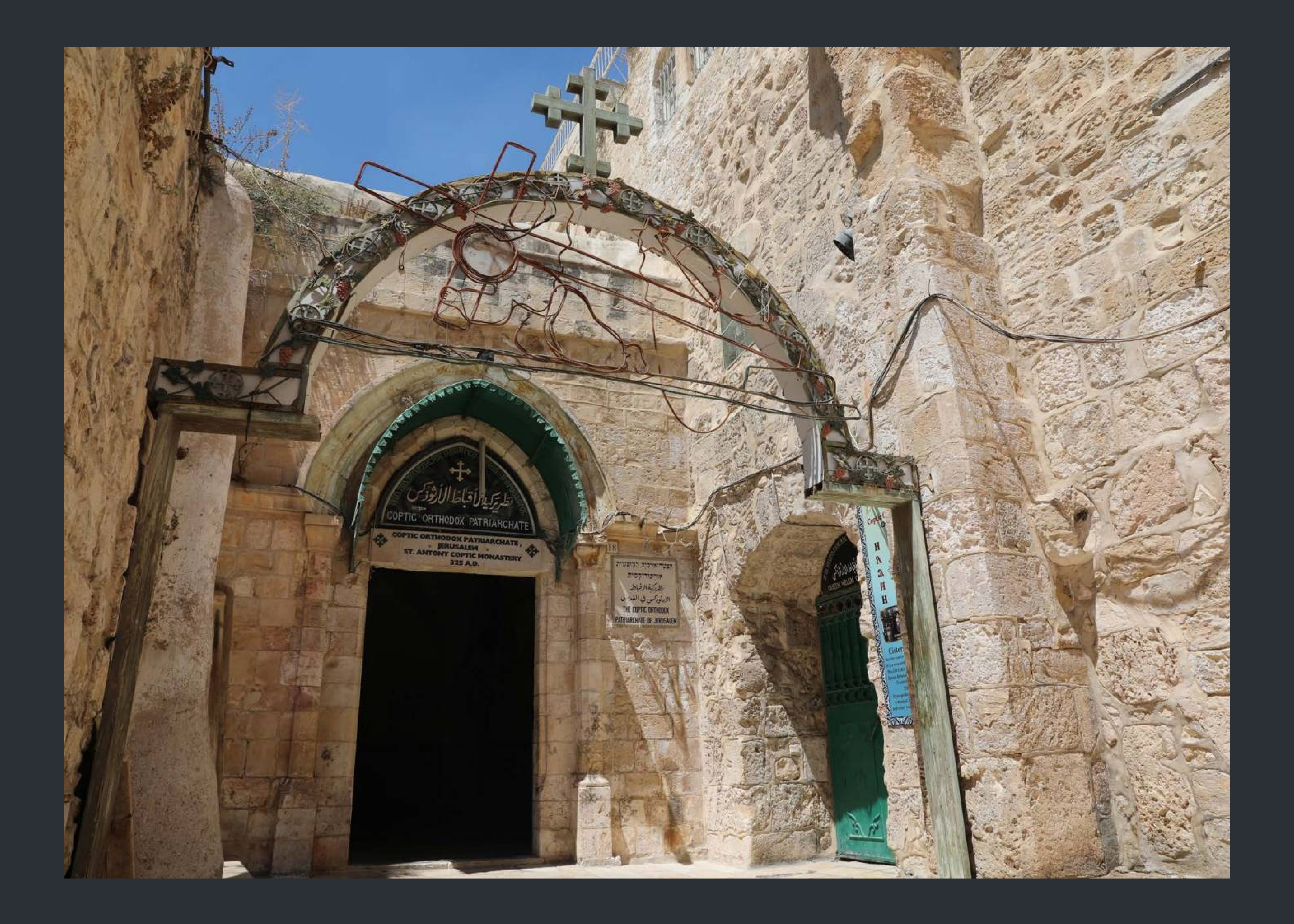


كنيسة القديس يعقوب الأرمنية

توجد هذه الكنيسة المهمّة داخل مرفقات دير الأرمن، الواقع في القسم الشرقي من طريق حارة الأرمن. وكغيرها من الكنائس البيزنطية الأصل، فإن جذورها تعود إلى القرن الرابع الميلادي، لكن العمارة الحالية تعود إلى فترة الفرنجة وترميمات من القرن الثامن عشر.

كنيسة القديس يعقوب لا شك في أنها من معالم القدس، وهي من أبرز معالم حارة الأرمن، وقبل الدخول إلى فناء الكنيسة، فإن نقشاً مملوكياً مثبتاً في أعلى مدخل الدير يستقبلك ويلفت نظرك، ويفيدك بعدالة صادرة عبر فرمان سلطاني مملوكي بإعفاء الرهبان الأرمن من المكوس والضرائب. وتحظى الكنيسة بمنزلة طيبة كونها تخلد القديس يوحنا أحد حواريي المسيح (عليه السلام)، وهو أخو القديس يعقوب، حيث يعتقد أن قتل يوحنا قد تم في الموقع من قبل الحاكم أغريبا (Agrippa). والكنيسة الأم (الأصلية) كانت أكبر مما يشاهد اليوم، ويظهر أنها تضررت من التدمير الفارسي سنة 614م، وتخطيط الكنيسة الحالي يعود إلى عهد الفرنجة، ولعل من أبرز مميزات هذه الكنيسة موقعها داخل الدير، وأن كثيراً من جدرانها قد غشيت ببلاطات من القاشاني المزخرف الملون.

وفي الكنيسة رفات لقديسين عدة، أشهرهم: رفات القديس يعقوب الصغير. وتضم الكنيسة في داخلها مجموعة من البيع (الصوامع) منها كابيلا القديس مكاريوس، وكابيلا القديس يعقوب الصغير، وكابيلا القديس منياس، وكابيلا القديس إسطفان.



مجمع بطريركية الأقباط

يضم مجمع بطريركية الأقباط -على سبيل المثال لا الحصر- كلاً من دير الأقباط، وكنيسة الأنبا أنطونيوس، وكنيسة بئر القديسة هيلانة، والكلية الانطوائية، وهذه تتركز ما بين طريق الخانقاة الصلاحية وشمال كنيسة القيامة، حيث المرحلة التاسعة من آلام السيد المسيح. ويتوصل إليه عبر ممر صاعد في الجهة الغربية من طريق خان الزيت بعد طريق عقبة التكية باتجاه الجنوب. وهذا البناء معلم مركب وله تواريخ وأدوار متعددة، لكن الطراز المعماري للبناء جدد مرات عدة، وبخاصة سنة 1880م.

ويتألف المجمع من كلية كبيرة يصعد إليها بدرج، ومن كنيسة القديسة هيلانة التي تتقدم بئراً عميقةً وكبيرة للماء يعتقد أنه أخذ منها ماء بناء كنيسة القيامة، فهو يحمل اسم القديسة هيلانة التي قامت بالبناء.

إنَّ هذه المنطقة يمكن أن تسمى حارة الأقباط تشبيهاً بحارة الأرمن، وإن كان يعوزها جالية قبطية من غير رجال الدين. والمعروف أنه بقدوم الحكم المصري لفلسطين والقدس 1831-1840م، فإنَّ طائفة الأقباط قامت بأنشطة واستثمارات عدة لتوسيع وتعميق ممتلكاتهم في القدس، وبخاصة حول كنيسة القيامة، وهذا يماثل مع ما تم مع صلاح الدين حينما حرر القدس من الفرنجة.



كنيسة ألكسندر نافسكي الروسية

وتعرف بدير الدباغة، ودير المسكوبية "داخل البلدة القديمة» تميزاً عن المسكوبية خارج أسوار القدس. والكنيسة تقوم داخل البلدة القديمة في القسم الغربي عند نهاية طريق خان الزيت من جهة الجنوب قبيل بداية الأسواق الثلاثة (سوق اللحامين، والعطارين، والخواجات). ويمكن فهم الشغف في حيازة هذا المكان بهذا التاريخ الواقع في 1294هـ/1877-1878م المتأخر مقارنة ببقية الدول الأوروبية في ضوء التنافس الأوروبي الأوروبي على حماية الطوائف والأماكن المقدسة، وفي صراعات ما عرف بالمسألة الشرقية، وضعف الدولة العثمانية، ومحاولة اقتسام الدفاع عن الطوائف المسيحية المتعددة في القدس بين الدول الأوروبية، حيث اعتبرت فرنسا أنها حامية للكاثوليك، وبريطانيا لليهود والبروتستانت، وروسيا للطوائف الأرثوذكسية، ضمن اقتسام ظاهري لحماية الطوائف عانت منه القدس والإدارة العثمانية، وكان يخفي صراعات وطموحات سياسية.

ولعل هذا يفسر تكليف سيرجي ألسكندروفتش رئيس الجمعية الروسية الأرثوذكسية وأخ الإمبراطور ألكسندر الثالث، بحيازة المكان وتطويره، لكن مسمى الدير نسب إلى ألكسندر نافسكي الذي كان قائداً روسيّاً وطنيّاً قوميّاً حارب أعداء عدة لروسيا، ومن ثم ترهبن قبل موته وهو يعتبر مؤسساً وملهماً للدولة الروسية المتعددة الأعراق والجنسيات.

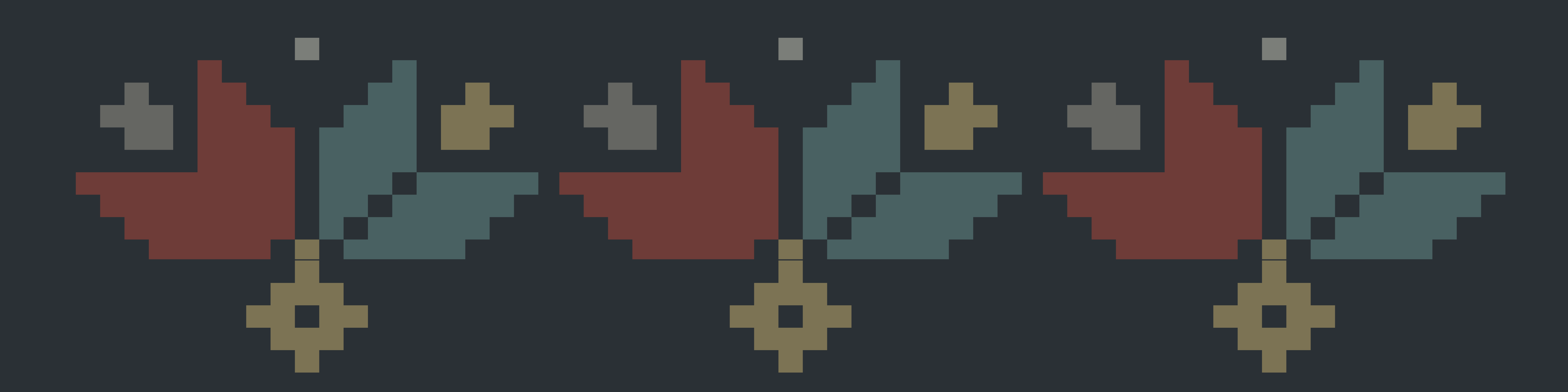
بعد أن تمت حيازة الموقع في العام 1859م من قبل الحكومة الروسية، وبعد تأسيس الجمعية الفلسطينية الروسية الأرثوذكسية، بدأت سلسلة حفريات تمهيداً للبناء. وقد كشفت الحفريات عن بقايا من الفترة الرومانية تعود إلى فترة هيرود الكبير وهادريان، علاوة على بقايا بيزنطية من فترة قسطنطين، تمثلت ببقايا باب سمي بباب الحكم وبقايا قوس وعمودين، وآثار لأرضيات وجدران مدخل الفناء المتقدم لكنيسة قسطنطين.

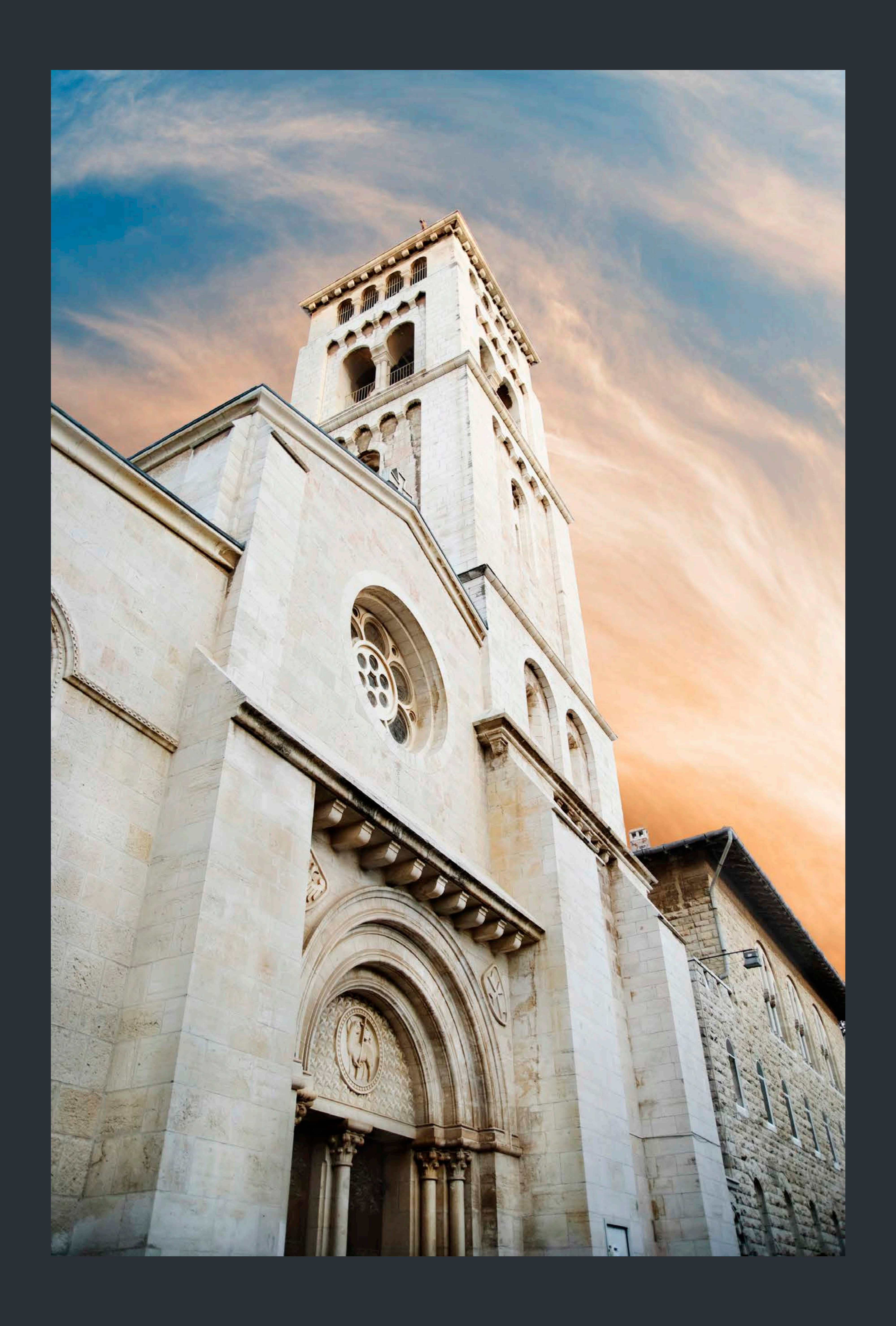
كنيسة المخلّص الألمانية

وتعرف، أيضاً، بكنيسة الدباغة، والكنيسة اللوثرية، وكنيسة الفادي الألمانية (المسيح)، وتوجد في حي الدباغة عند النهاية الشمالية في القسم الشرقي لطريق المارستان (البيمارستان الصلاحي) مقابل سوق أفتيموس. وحيازة المعلم تمت في 1315هـ/1898م، حينما قام الإمبراطور فريدريك وليم الثاني ولي عهد بروسيا بزيارة القدس وحيازة القسم الشرقي من منطقة المارستان في العام 1868م، كهدية من السلطان العثماني، والكنيسة الحالية افتتحت وكرست (قدست) من قبل القيصر غليوم (وليم) الثاني في يوم الإصلاح (عيد ديني إنجيلي) 1898/10/31م. وهذا وغيره من الأعمال، تظهر السباق المحموم على حيازة أماكن في القدس من قبل الدول الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

لا بد من القول إن كنيسة المخلّص وبرجها السامي من المعالم البارزة في البلدة القديمة، وهو من أملاك الطائفة الإنجيلية اللوثرية الألمانية. وقد تمت حيازة الموقع على مراحل وبأساليب عدة، منها الإهداء في سنة 1868م، والشراء لبعض المرافق فيما بعد. والمَعْلَم مجمع معماري يضم كنيسة حديثة البناء على نظام البازيليكا، وبرجاً شاهقاً من تصميم المهندس الألماني الشهير من برلين فريدريك إدلر. وفي المجمع دير فيه مكاتب، وكافيتريا حول صحن مكشوف ذات جلسة هادئة، ومتحف صغير يشرح تاريخ الموقع وطبقاته، وما كشفت عنه الحفريات التي أجريت في الموقع، ومرفقات متنوعة، ومدرسة تحمل اسم مارتن لوثر تقع إلى الجنوب من الكنيسة.

والتقليد البروتستانتي يعتبر الموقع أهدي إلى شارلمان من قبل هارون الرشيد، وقامت به كنيسة، ومن ثم حازه تجّار مدينة أمالفي، وفي فترة الفرنجة أقيمت به كنيسة. ويلفت النظر ما يوجد من تصوير بالفسيفساء في حنية الكنيسة فوق المذبح لوجه السيد المسيح "المخلّص».











المآذن

الآذان هو النداء إلى الصلاة، والمئذنة موضع الآذان، وتعتبر المآذن من أبرز عناصر العمارة الإسلامية، وعرفت المئذنة باسم المنار أو المنارة. ومعمارياً المئذنة كتلة معمارية مرتفعة كالبرج، وقد تكون مربعة أو مستديرة، وعلى طوابق أو أقسام عدة، وبداخلها سلم في الأغلب لولبي الشكل، يوصل إلى شرفة المئذنة التي كان يقف عليها المؤذن ليصل صوته إلى أبعد مدى ممكن.

وفي عمارة القدس مجموعة من المآذن التاريخية، أغلبها ترميمه يعود إلى الفترة المملوكية والعثمانية، منها ما هو في المسجد الأقصى المبارك كمئذنة باب الأسباط، وهي أسطوانية، ومئذنة باب الغوانمة، وباب السلسلة، والمئذنة الفخرية، والثلاث الأخيرة مربعة المسقط. وهناك مآذن تاريخية أخرى في القدس نذكر منها: مئذنة الخانقاة المولوية، ومئذنة الخانقاة الصلاحية، ومئذنة جامع عمر، ومئذنة الجامع العمري الكبير، ومئذنة القلعة، ومئذنة الزاوية الحمراء (الخلوتية)، ومئذنة المدرسة المعظّمية. وأياً كان طراز المئذنة، فهي تتكون من ثلاثة أقسام: القاعدة، البدن، شرفة المؤذن التي تنتهي بقبة صغيرة تعرف أحياناً بالمبخرة أو الجوسق أو شمعة. ولأخذ فكرة عن عمارة المآذن ومعالمها، تم تفضيل مئذنة أسطوانية البدن هي مئذنة باب الأسباط.

مئذنة باب الأسباط

وتعرف بقدر محدود باسم مئذنة الصلاحية، والمئذنة الأسطوانية، لكن الأشهر هو مئذنة باب الأسباط، وذلك كونها تقع على الجدار الشمالي للمسجد الأقصى المبارك، ما بين باب الأسباط وباب حطة إلى الشرق قليلاً من المدرسة الغادرية. والمئذنة قديمة، لا يعرف على وجه التحديد متى بنيت أو من بناها، لكن مجير الدين الحنبلي يؤكد قدمها، وقد رممت أكثر من مرة في العام 769هـ/1368م، و في 18 ذي الحجة 1007هـ/12 تموز 1599م، وسنة 1346هـ/1927-1928م. وهذا تم الاهتداء إليه بالاعتماد على ما عليها من نقوش كتابية. حيث يؤرخ النقش الأول لترميم مملوكي، في حين النقش الثاني يعود إلى فترة المجلس الشرعي الإسلامي. لكن تفصح سجلات محكمة القدس الشرعية عن ترميم أوسط عثماني يعود إلى 18 ذي القعدة 1007هـ/12 تموز 1599م، ومن دواعي الفخر أن المعماري المحلي المنتمي إلى عائلة النمري، عبد المحسن بن الْمُعَلّم محمود بن نمر المعمار، قام بترميمها عبر ائتلاف صحبة الْمُعَلّم محمود المشهور بخلف المعمار، والْمُعَلّم علي بن خليل الحجار.

ونتيجة لهذا الترميم العثماني يبدو أن المئذنة قد اكتسبت شكلها الأسطواني أسوةً ببقية المآذن التي أسست أو رممت في الفترة العثمانية في مدينة القدس، متأثرين بالمآذن العثمانية القلمية الرشيقة، ولكنها بصراحة ليست برشاقة المآذن العثمانية ودقتها، وهذا قد يعزى إلى التقاليد المحلية التي حاولت أن تنهج ما بين المآذن المملوكية المثمنة أو المربعة والمآذن العثمانية. ومهما كان الأمر، فإن هذه المئذنة تتميز بطرازها الأسطواني الذي يختلف عن بقية مآذن المسجد الأقصى المبارك، فهي من أرشق المآذن في المسجد الأقصى المبارك، وللمئذنة قاعدة حجرية مربعة المسقط، وبدن أسطواني على طراز المآذن العثمانية الرشيقة، تنتهي بصفوف من المقرنصات التي تحمل شرفة المؤذن.




مصطبة

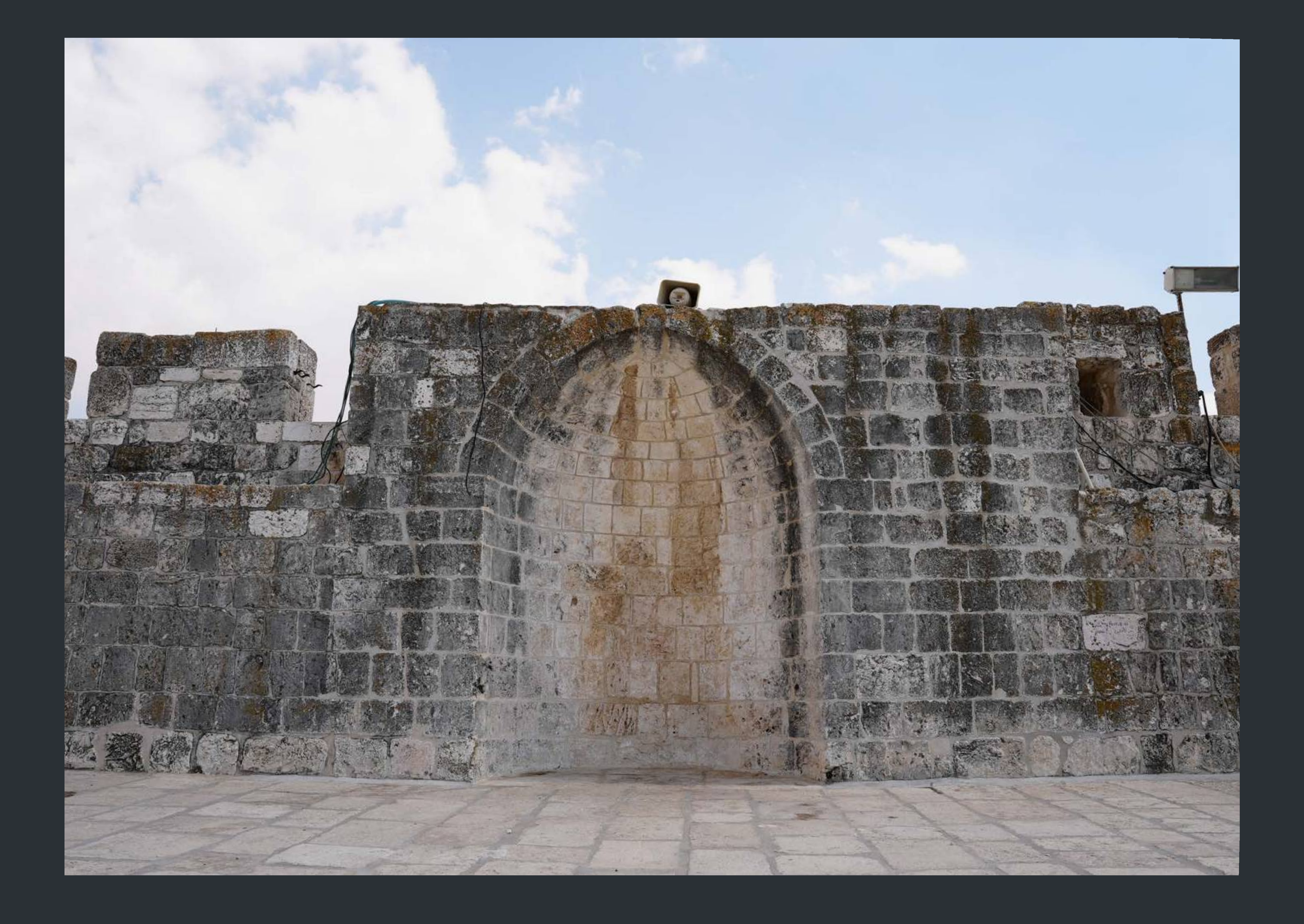
المحاريب والمساطب

المحراب، هو صدر المسجد، وصدر الشيء مقدمته، وهو فتحة غائرة غير نافذة تنتهي بعقد محمول على أعمدة، وغالباً ما تكون مجوفة. هدف المحراب الإرشاد إلى اتجاه القبلة في المساجد والجوامع، ومكان وقوف الإمام الذي يقود الصلوات الجماعية. وغالباً ما تكون المحاريب جزء من كل، أي عنصر معماري من عناصر المسجد أو المدرسة أو الزاوية، ولذا فقد نالت المحاريب عناية من حيث الزخرفة والترخيم. وفي عمارة القدس، مجموعة من المحاريب الجميلة أشهرها محراب الجامع الأقصى الذي جدده صلاح الدين الأيوبي، ومحراب قبة الصخرة المشرّفة، ومحراب المدرسة الحسنية في باب الناظر، ومحراب المدرسة المُزهرية، ومحراب المدرسة الأشرفية. لكن هناك محاريب في عمارة القدس، وبخاصة في المسجد الأقصى المبارك مستقلة ومنفردة، وقد توجد مع مسطبة، وانتشر في عمارة القدس محاريب خاصة مميزة، قلما نجد ما يماثلها في العمارة الإسلامية، وهي محاريب مخطوطة في الأرض، وقد تكون مسوّرة أو بدون سور أو جدار.

والمسطبة تسمى، أيضاً، مكسلة، وهي مكان مرتفع عما حوله، يتخذ مجلساً، وكان يقعد عليها، وفي المصطلح المعماري ما يبنى على جانبي مداخل الأبنية، وبخاصة المملوكية منها، وهنا تكون من مادة الحجر. ومن هذا النوع من المساطب يوجد نماذج كثيرة في عمائر المسجد الأقصى المبارك، بحيث يكاد لا يخلو أي مبنى منها، لكن أفضل الأمثلة هي مسطبة باب سوق القطانين، ومسطبة المدرسة الأشرفية.

لكن الجدير ذكره أن في عمارة المسجد الأقصى المبارك نوعاً آخر خاصاً من المساطب، وفي مجموعة منها محاريب جميلة، بعضها مؤرخ، وبعضها لا يحمل تاريخاً. ومن أشهر المساطب التي تحوي محاريب نذكر مسطبة الكرك، ومسطبة الصنوبر، ومسطبة محراب أحمد قوللري، ومسطبة سبيل قايتباي، ومسطبة محراب علي باشا، ومسطبة محراب سبيل مصطفى آغا، ومحراب داوود، ومحراب الأمير بلوي الظاهري، ومحراب الأمير جركس الناصري، ومحراب يوسف باشا.

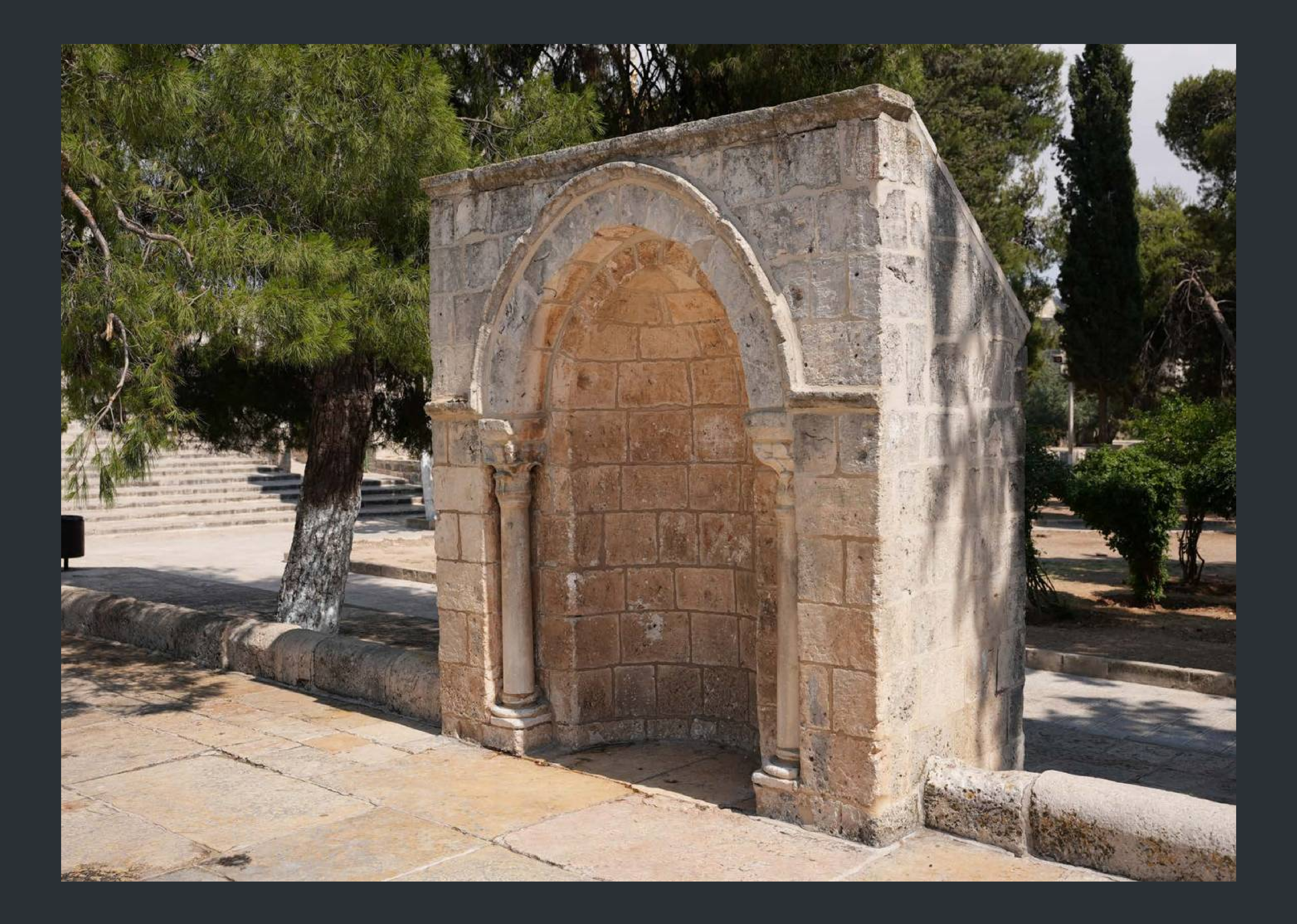




محراب داوود

بدايةً، يجب التنبيه إلى أن إطلاق اسم "النبي" داوود على هذا المَعْلَم لا يعني أنه يعود أو أنه من عمل داوود (عليه السلام)، لأن تاريخ هذا المحراب إسلامي، وقد جُدِّدَ بأمر من السلطان المنصور لاجين الذي تولى السلطنة في السنوات 696-698هـ/1297-1299م، وهو في هذا مثل بقية التسميات لكثير من الأولياء والأنبياء في رحاب المسجد الأقصى المبارك، وليس أدل على ذلك من تكرار تسمية معظم الأنبياء لأبناء المسلمين قديماً وحديثاً. فالمحراب يمثل احتفاءً من قبل المسلمين بمكانة النبي داوود (عليه السلام) في التراث الإسلامي، حيث يظهر مدى إجلال المسلمين لشخصه، بأن تم ربط ما ورد في القرآن الكريم في سورة ص (ترتيب السورة رقم 38 في المصحف الشريف – الآية الكريمة رقم 21) بهذا الموقع من باب التكريم والتبجيل، فهو محراب تذكاري، لم يجد المسلمون حرجاً في التسمية، ما يدل على التسامح والانفتاح، ولكن لا يعني هذا أن النبي داوود (عليه السلام) هو من قام بعمله، أو أنه يُدّعى بحقوق فيه، فهو موقع إسلامي صرف. لقد كان هذا الموقع في منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي من أماكن الزيارة المحببة في المسجد الأقصى المبارك.

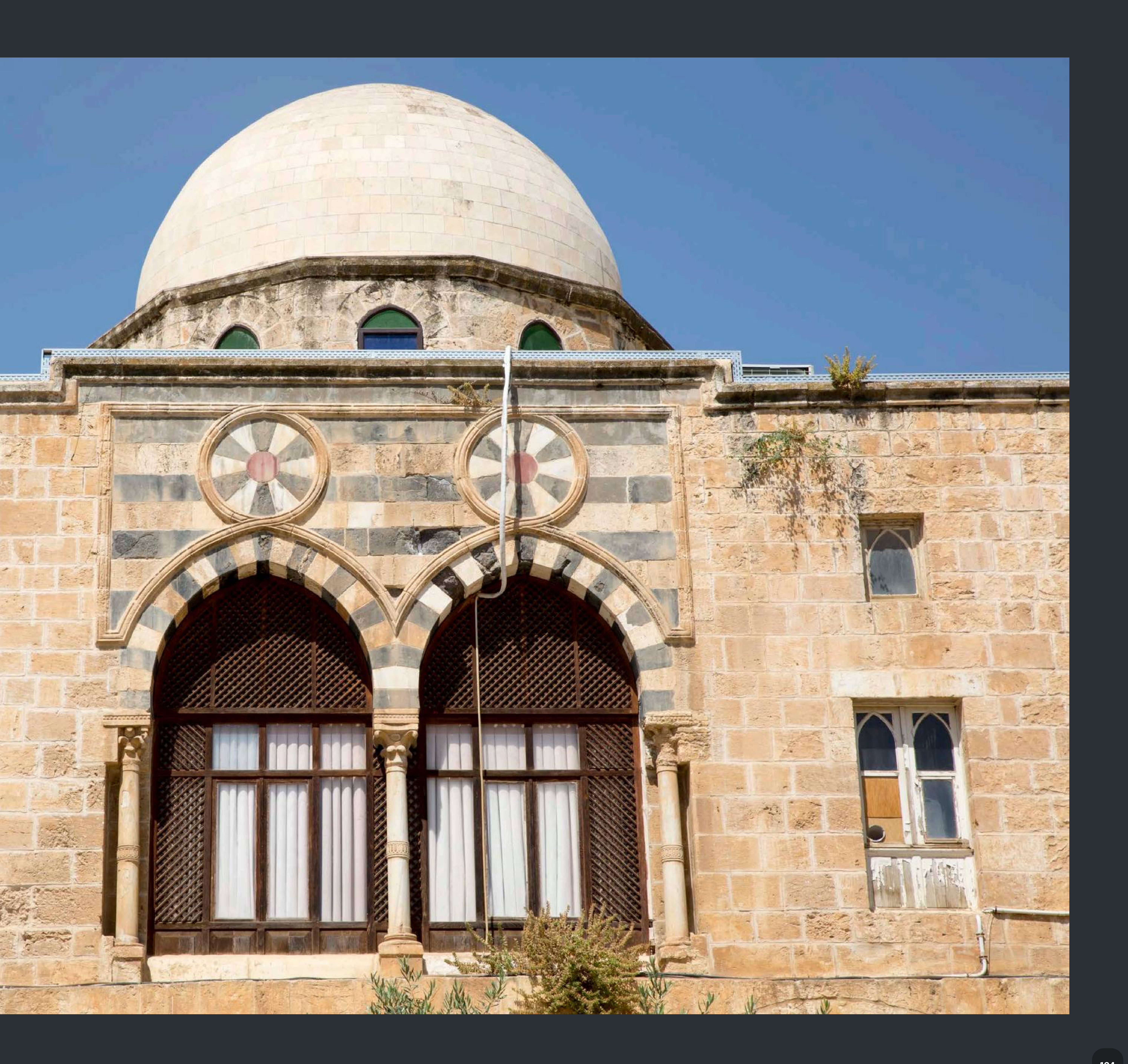
ينتصب محراب داوود في منتصف الجدار (الحد) الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك، ما بين الجدار الشرقي للجامع الأقصى والزاوية الجنوبية الشرقية. وهو محراب كبير الحجم، فتح في الجدار الجنوبي لسور المسجد الأقصى المبارك، على ارتفاع السور، وهو مجوف، ويتكون من حنية متراجعة تنتهي بعقد مدبب. للمحراب أهمية كبيرة، ولا شك أنه خدم جمهور من كان يصلي منفرداً في هذه الساحة الواسعة في أيام الصيف، أو في صلوات محددة خاصة بالأفراد.



محراب الأمير بلوي الظاهري

يقوم المحراب في جنوب المسطبة التي أُقيم عليها سبيل مصطفى آغا التي تقع إلى الجنوب الشرقي من باب الناظر في داخل المسجد الأقصى المبارك، ويعود تاريخه إلى سنة 788هـ/1386م. وينسب هذا المحراب إلى الأمير بلوي الظاهري، حيث عرف به، وقد كان يتولى منصباً مهماً هو ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل)، ونائب السلطنة في عهد السلطان الظاهر برقوق، لذا عرف بالظاهري، والنائب هو بمثابة الرجل الثاني في الدولة المملوكية، وكانت صلاحيته مثل صلاحية السلطان، من توقيع مراسيم، وإشراف على الجيش.

يستقيم المحراب على الجدار الجنوبي لمسطبة حجرية مستطيلة المسقط، في زاويتها الشمالية الغربية أقيم سبيل مصطفى آغا، وفي حدّها الجنوبي بني محراب مجوف كبير الحجم، يعلوه عقد نصف دائري يستند على زوج من الأعمدة. وتميزت عمارة المسجد الأقصى المبارك بإنشاء مجموعة من المساطب الحجرية المكشوفة التي استخدمت للصلاة ولإلقاء الدروس والوعظ، واستخدمت، أيضاً، مكاناً للتجمع وقراءة القرآن الكريم.

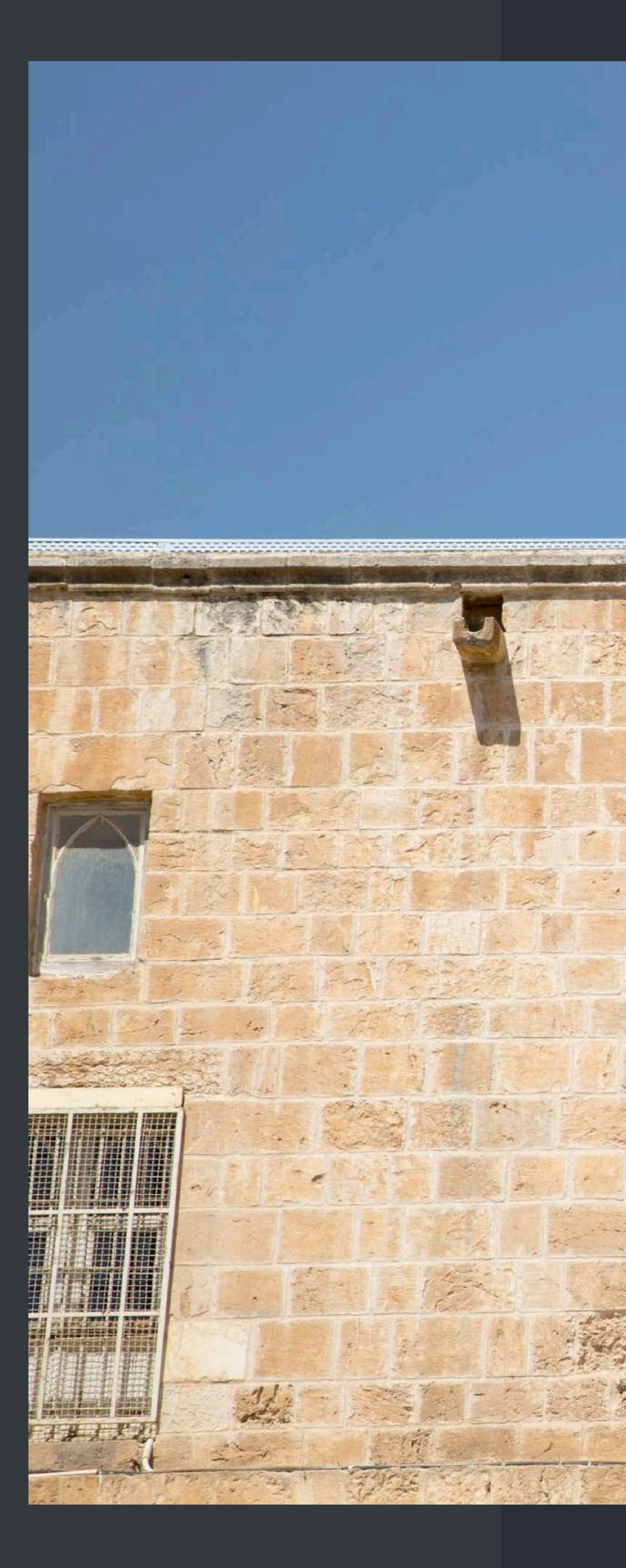


المدارس

شكلت المدارس أحد المعالم البارزة في عمارة القدس، ويقصد بالمدرسة موضع الدرس والتدريس، والمدرسة، وبخاصة في الفترة المملوكية، بناء مستقل يتكون من وحدات عدة، قد تشمل إيوانين أو أكثر، ومن المدارس ما اشتمل على صحن تحيط به أربعة أواوين، وعلى مساكن للطلاب ومرفقات لهم، وأحياناً ضمت المدرسة ضريحاً أو أكثر. وتأثرت مدارس القدس بضيق المساحة المتاحة للبناء، ما جعل المعماري أحياناً يضحي ببعض أصول عناصر التخطيط المعماري للمدارس من أجل حيازة مكان قريب من المسجد الأقصى المبارك أو على حدوده.

أوردت المصادر والمراجع التاريخية ذكر معلومات عن حوالي 69 مدرسة في القدس، دَرَسَ بعضٌ منها واختفى، لكن ما بقي منها يدل على نشاط الحياة الثقافية والدينية في القدس الأيوبية والمملوكية، واستمر نشاطها في الفترة العثمانية. وهناك تسع من المدارس أسسها سلاطين، وحوالي 30 أسسها أمراء، وثلاث نساء أميرات أو ثريات، وعشر مدارس أسسها تجار ميسورون، وأربع أسسها رجال دين، وقلة لا يُعرف عن مؤسسيها.

وكانت كل مدرسة تتمتع بوقف وإدارة مستقلة حسب شروط الواقف، وبإشراف القاضي الشرعي. ومن أبرز مدارس القدس، نشير إلى المدرسة البدرية، المدرسة والمئذنة المعظّمية، المدرسة الجاولية، المدرسة الكريمية، المدرسة التنكزية، المدرسة الأمينية، المدرسة السلامية، المدرسة الألمكية، المدرسة الفارسية، المدرسة الخاتونية، المدرسة الأرغونية، المدرسة الأسعردية، المدرسة المنجكية، المدرسة الطازية، المدرسة اللؤلؤية، المدرسة الحنبلية، المدرسة البلدية، المدرسة الطشتمرية، المدرسة الصبيبية، المدرسة الباسطية، المدرسة الغادرية، المدرسة الحسنية، المدرسة العثمانية، المدرسة المُزهِرية، المدرسة الأشرفية، المدرسة الماوردية، المدرسة الأحمدية. هذا فضلاً عن مجموعة من المدارس الدارسة لا طائل من ذكرها، لاختفاء عناصرها المعمارية. وتم ترشيح أربع مدارس لإعطاء فكرة عن هذا النوع من العمائر المقدسية، الأولى أيوبية، والثلاث الباقية مدارس مملوكية، إحداها من أوقفها صاحب ديوان الإنشاء في أواخر عهد الدولة المملوكية، واثنتان لأمراء تولوا نيابة السلطنة. وتختلف هذه المدراس في نسيجها المعماري، وتخطيطها، والعلوم التي كانت تُدرّس فيها.





المدرسة النحوية

وسميت بالقبة النحوية، أو قبة الملك المعظم عيسى. وكما يستشف من الاسم، ومن المعلومات التاريخية، فإن هذا الْمَعْلَم خصص لدراسة النحو وقواعد اللغة العربية في داخل المسجد الأقصى المبارك، وهذا يعكس اهتمام المؤسس الملك المعظم عيسى بهذا الضرب من العلوم، وقد عرف عنه حبه للعلم والعلماء، وتقديره للغة العربية. وتوجد القبة في موقع مشرّف عند الزاوية الغربية الجنوبية لسطح قبة الصخرة المشرّفة، مجاورة للطرف الجنوبي للبائكة الغربية الجنوبية.

وتنسب القبة إلى السلطان الأيوبي الملك المعظم عيسى بن العادل أخي صلاح الدين (615-624هـ/1218-1227م)، وأشرف على البناء الأمير حسام الدين قماز المعظمي حاكم القدس. ولقد شهد مجير الدين الحنبلي للمعظم عيسى بأنه والناصر محمد بن قلاوون من أشهر من أسهم في عمارة المسجد الأقصى المبارك. والقبة مؤرخة إلى سنة 604هـ/1207-1208م، بموجب نص كتابي في أعلى الجدار الشمالي للقبة من الداخل بخط النسخ الأيوبي. وهناك ترميمات عدة، نفذت في المبنى تعود إلى سنة 719هـ/1319-1320م، وإلى ما بعد سنة 1865م.

وتوقفت القبة عن أداء دورها، وحالياً هي مقر لقاضي القضاة، حيث تقوم أسفل منها مكاتب خاصة بمحكمة القدس الشرعية. ويعتقد أن بئراً للزيت الذي كانت تسرج به قناديل المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرّفة كان أسفل المدرسة النحوية.

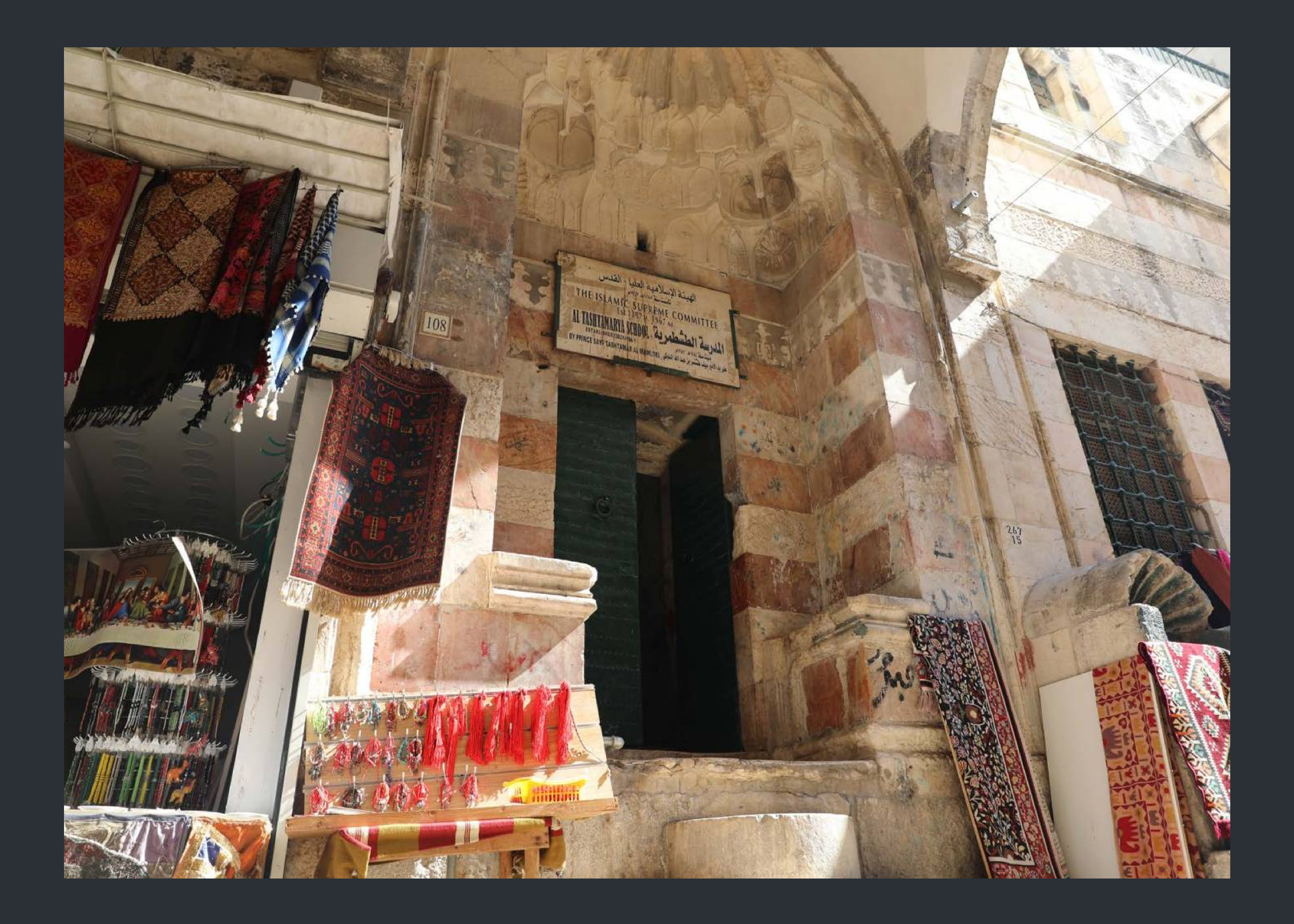


المدرسة التنكزية

وعرفت باسم الخانقاة أحياناً، وهي في الجهة الجنوبية، في أول طريق باب السلسلة ملاصقة للجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك، ويحدد نقش جميل كتب بخط الثلث المملوكي يقوم فوق مدخل المدرسة في الواجهة الشمالية تاريخ بناء المدرسة إلى سنة 729هـ/1328م، وأن المؤسس الأمير أبو سعيد تنكز الناصري نائب الشام.

المدرسة التنكزية في الواقع درة أعمال وأوقاف تنكز المتعددة، ومع أنها جزء من كل (رباط النساء، وثلاثة حمامات، وخان، وسوق القطانين، وسقاية) فإنها أشبه بمجمع معماري مستقل، فهي مدرسة ودار لتعليم الحديث، ورباط لإقامة الصوفية، وفيها قاعة مسجد ومأوى للأيتام، ولا غرو في ذلك فقد أطلق عليها الكتابة التأسيسية لفظة "المكان المبارك"، ما يعني أن المكان شامل لوظائف عدة. وللمدرسة موقع حساس لم يتسنَّ إلا لقليل من المباني المملوكية، فهي مجاورة للمسجد الأقصى المبارك عند باب السلسلة، وتشرف عليه من طابقها العلوي، وهي بهذا كالأشرفية. والتنكزية من أشهر مدارس القدس الإسلامية، وهي من أفضل الأمثلة على التخطيط المعماري المتعامد في مدينة القدس، وغنى نسيج المدرسة المعماري بالزخارف والمقرنصات ووجود الأبلق. وعموماً، فإن التنكزية من أجمل مدارس القدس المملوكية وأهمها وأكبرها من ناحية معمارية وإدارية وسخاء وقفها، وهي بمثابة كلية أكاديمية بمفهوم اليوم. وبهذا، فهي لفتت أنظار المهتمين فقرظوها قديماً وحديثاً. وعُيّن في التنكزية مجموعة كبيرة من الموظفين من مدرسين ومعيدين ومحدثين وقرّاء للحديث، ومجموعة من الصوفية، وغيرهم من النظار والبوابين ومتولي الميضأة. ونزل فيها: السلطان فرج بن برقوق في سنة 815هـ/1412م، وزارها فليكس فابري زمن السلطان قايتباي، وأقام بها مفتي القدس ورئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني زمن الانتداب البريطاني.

لكن، مما يؤسف له أن تاريخها الحافل لم يشفع لها، فقامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بمصادرة المبنى، وجعلته مكاناً لحرس الحدود جاثماً على البلدة القديمة والمسجد الأقصى المبارك، وقامت بتهويده وتحويل بعض قاعات الطابق العلوي إلى كنيس للصلاة يطل على ساحة المسجد الأقصى المبارك.



المدرسة الطّشتُمرية

عرفت في القرن العشرين المنصرم، باسم دار الإمام نظراً لسكن أسرة من آل الإمام بها، وهذا غلب على معظم المدارس المملوكية التي عرفت بأسماء ساكنيها أكثر مما عرفت بأسماء مؤسسيها، وهذا ساد في القرن العشرين في الأغلب حينما ضعف الوقف والأوقاف، وبقيَ الأمر كذلك حتى تم تأسيس قسم الآثار الإسلامية، ومن ثم مديرية السياحة والآثار التي بدأت تعرّف الكثير من المعالم المعمارية بأسمائها الأصلية. وهي حالياً يُستخدم جزء يسير منها، مقر الهيئة الإسلامية العليا، والأجزاء العلوية سكن دار الإمام.

تقوم المدرسة في القسم الشمالي من طريق باب السلسلة عند التقائها مع طريق الميدان، أيْ إن المدرسة تقوم ما بين طريق عقبة أبو مدين وطريق الميدان. وتاريخها يعود إلى 784هـ/1383م، وقد أسست من قبل نائب السلطان الأمير طشتمر العلائي الذي أقام بالقدس وتوفي بها في سنة 786هـ/1384م، ودفن فيها في تربته هو وابنه إبراهيم.

والمجمع المعماري للمدرسة الطّشتُمرية مكون من طابقين مع ملحقات تحت أرضية، متعدد الوظائف، مكون من تربة ومدرسة على نظام الأواوين الأربعة، ومسقاة، وكُتّاب، وأماكن سكن وإقامة في الطابق الثاني.

للمدرسة الطّشتُمرية مجموعة من القيم، منها ما هو معماري يتعلق بالتخطيط الداخلي، ومنها ما يرتبط بالعناصر المعمارية والزخرفية التي تظهر في الواجهة، علاوة على شخصية الواقف ودوره في الإدارة المملوكية وحياة القدس الثقافية عبر هذه المؤسسة الثقافية. ولا يزال لهذا المجمع مكانته، فهو مقر الهيئة الإسلامية العليا، ودار سكن أيضاً لمجموعة من سكان القدس.



المدرسة المُزهِرية

تُنسب المدرسة إلى القاضي أبو بكر بن مُزهِر القاضي الشافعي الأنصاري النابلسي الأصل، صاحب ديوان الإنشاء في الدولة المملوكية في عهد السلطان قايتباي، وهي وظيفة ديوانية بروتوكولية مهمة، شاغلها مسؤول عن مكاتبات السلطان، أو ما يمكن أن نسميه الوارد والصادر للديوان السلطاني المملوكي. وقام بزيارات عدة للقدس والخليل ونابلس، لكنه توفي ودفن في القاهرة. وتقوم في القسم الجنوبي من طريق باب الحديد إلى الغرب من المدرسة الأرغونية وشرق المدرسة الحنبلية، وتاريخ وقفها كما حدده مجير الدين الحنبلي يعود إلى سنة 885هـ/1480-1481م.

المُزهِرية لا غرو في أنها أجمل مدارس طريق باب الحديد، حيث تقع إلى الغرب من المدرسة الأرغونية ومقابل الخانقاة الجوهرية، وهي في مصاف المدارس التي تتمتع بنسيج معماري مميز، وبخاصة في الواجهة الشمالية الرئيسة، حيث فتح فيها مدخل طويل متراجع داخل حنية تنتهي بطاقية مدخل مزخرفة بحطات من المقرنصات، ويعلو فتحة الباب عتب، يعقبه مجموعة من الصنج المعشقة الجميلة بالأبلق، وقد زينت أعتاب الشبابيك بزخارف هندسية ونباتية تشبه زخارف المدرسة الأشرفية.

لقد رممت المدرسة أكثر من مرة، وتم الحفاظ على بنيتها الزخرفية، وكانت لهذه المدرسة أوقاف متعددة في بلدة بيت ساحور الوادي، وحالياً هي دار سكن لمجموعة من العائلات المقدسية. وقيم الْمَعْلَم متعددة، وفيه كثير من فنون ومميزات العمارة المملوكية، وكان له دور في إثراء الحياة الثقافية في القدس.

مختارات من المصادر والمراجع

العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، 1961.

العارف، عارف، تاريخ الحرم القدسي، دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1947.

العارف، عارف، تاريخ قبة الصخرة المشرّفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس، دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1958.

عبد المهدي، عبد الجليل، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية، عمان، 1981.

العسلي، كامل ، القدس في التاريخ، مجموعة مقالات، ترجمة وتحرير، عمان 1992.

العسلي، كامل، أجدادنا في ثرى بيت المقدس، مؤسسة آل البيت، 1981عمان.

العسلي، كامل، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، 1981.

مجير الدين، عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان، جزءان، 1973.

المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن، 1877.

ناصر خسرو، كتاب سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، 1945.

النتشة ، يوسف سعيد ، «عمارة القدس العثمانية»، كتاب القدس العثمانية، المدينة العامرة 1517-1917، تحرير سلفيا أولد وروبرت هلينبراند، الفصل 36 القسم الاول، ص 583-655، لندن، 2000، مهرجان العالم الإسلامي . التاجر.(بالإنجليزية)، 2000.

النتشة ، يوسف سعيد ، المدرسة الأشرفية، مركز ترميم المخطوطات الإسلامية، مع د. شادية طوقان، المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس، مؤسسة التعاون، القدس، (بالعربية وبالانكليزية)، 2011.

النتشة ، يوسف سعيد ، تراث القدس المعماري، دارسة في تطوره وطرزه وأعلامه وعناصره المعمارية والزخرفية، القدس، مؤسسة التعاون، القدس، 2020.

النتشة ، يوسف سعيد ، تطويع وترميم دار الأيتام الإسلامية البلدة القديمة في القدس، مع د. شادية طوقان، المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس، مؤسسة التعاون، القدس، (بالعربية وبالانكليزية)، 2011.

النتشة ، يوسف سعيد ،»فهرس المباني العثمانية»، المجلد الثاني من كتاب القدس العثمانية المدينة العامرة 1517-1519، تحرير سلفيا أولد وروبرت هيلنبراند، ص 657-1085، لندن، 2000، مهرجان العالم الإسلامي . التاجر. (بالإنجليزية)/ 2000.

النتشة ، يوسف سعيد، المدرسة السلامية في القدس» الموصلية»، تاريخها وعمارتها ومنهج ترميمها وتأهيلها، بالاشتراك مع المكتب الفني لإعمار البلدة القديمة لمدينة القدس لمؤسسة التعاون (بالعربية والانكليزية)، 2016.

النتشة ، يوسف سعيد، مسارات وجولات من السياحة الرديفة في مدينة القدس،التجمع السياحي المقدسي، طبعة ثانية، القدس، 2013.

النتشة، يوسف سعيد، رباط الأمير تنكز للنساء: من مؤسسات الرعاية الاجتماعية في القدس المملوكية، مجلة المقدسية، السنة الثانية، العدد الثامن، خريف 2020، ص 127-137، 2020.

نجم، رائف؛ عبد المهدي، عبد الجليل؛ النتشة، يوسف؛ حلاق، بسام؛ كلبونة، عبد الله، كنوز القدس، منظمة المدن العربية، عمان، 1983.

Burgoyne, M. H., Mamluk Jerusalem: an Architectural Study, Buckhurst Hill, 1987.

Burgoyne, M., H., “The Gates of the Haram al-Sharif”, in Bayt al-Maqdis ‘Abd Al-Malik’s Jerusalem, ed. Julian Rabby and Jeremy Johns, Oxford 1992.

Creswell, K. A. C., Early Muslim Architecture, I Umayyads, C. E. 622- 750, Oxford, 1932, rev. (1969).

Grabar, Oleg, The Dome of the Rock, Cambridge, Massachusetts, 2006.

Hamilton, W., The Structural History of the Aqsa Mosque, London, 1949.

Hawari., M., Ayyubid Jerusalem (1187 - 1250). An Architectural and Archaeological Study. BAR. International Series 1628, Oxford 2007.

Johns, C. N., “The Citadel, Jerusalem. A Summary of work since 1934”, QDAP, 14, 1950, pp. 90 - 121.

Van-Berchem, Max., Materiaux pour un corpus Inscriptionum Arabicarum, 2nd part, syrie du Sud: Jerusalem, 3 vols., (Memoires de l’Institut Francaise d’Archeologie du Caire) vols.43 - 45, Cairo, 1920 - 27. 1. Jerusalem Ville vol.43, 1922 - 23 [part one 1922, part two 1923], 2. Jerusalem Haram vol.44, 1925 - 27 (part one 1925, part two 1927).

الرؤيا الفلسطينية
PALESTINIAN VISION
Tel: 02 6285080 | info@palvision.ps | www.palvision.ps
palestinian.vision | PalestinianVision | pal_vision | palvision2014 | pal-vision

